الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
– قسنطينة –

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

رقم الإيداع :.....
رقم التسجيل :.....

# البعد العقدي الإسلامي للبيئة وأثره في المحافظة عليها

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب :
كمال سليماني

إشراف الدكتور :
اسعيد عليوان

أمام اللجنة

| الإسم واللقب | الرتبة | الجامعة الأصلية |
|---|---|---|
| 1- | | |
| 2-د.اسعيد عليوان | أستاذ محاضر | جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية |
| 3- | | |
| 4- | | |

السنة الجامعية : 1425-1426هـ/ 2004-2005م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الإهـداء

- إلى التي صاحبتني صغيرا ، وتعبت في تربيتي ، وجدت واجتهدت في تعليمي وتأديبي ، والدتي الغالية .
- إلى زوجتي الفاضلة ، التي شاركتني بحثي هذا بجهدها ودعمها .

والى ثمرة فؤادي ، ابنتي مريم

- وإلى أخواتي الكريمات ، اللاتي ساعدنني بالوقت والجهد .
- والى كل الإخوان الذين أحبوني وأحببتهم في الله.
- اهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا .

كمال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# شكر وتقدير :

- الحمد لله والشكر له تعالى الذي وفقني أعانني على سلوك طريق العلم، ويسر لي سبل طلبه ، وأعانني في إتمام هذا البحث .

ومن باب ما جاء في الحديث "من لم يشكر الناس لم يشكر الله ."

أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي الكريم "سعيد عليوان" على تكرمه بالإشراف على هذا البحث ومساعدته المادية والمعنوية لكي يخرج البحث في ثوب قشيب علميا .

كما لا أنسى بالشكر والتقدير الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة ، الذين تكرموا بقراءة هذه الرسالة ، وإبداء آرائهم التقويمية فيها ، من أجل أن تخرج عملا علميا يستفاد منه ولا أنس أن أقدم شكري وتقديري لأخي الفاضل الزبير برحال على ما بذله معي من مساعدة مادية ومعنوية ، فكان نعم الأخ لي ولا يفوتني كذلك أن أتقدم بخالص شكري إلى كل الاخوة الذين ما بخلوا علي بإشارتهم ومساعداتهم من زملاء في الدراسة إلى عمال مكتبة الجامعة الأفاضل إلى أخي حسين صاحب مكتبة "اقرأ" الذي ساهم في طباعة هذا البحث والى كل إخواني الذين أحبهم في الله

أخوكم كمال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المقدمة

خلق الله عز وجل الأرض لتكون مهدا لحياة الإنسان وموطنا لأداء أمانة الاستخلاف والعمارة بها، وتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى وحده لا شريك له، عبر جنباتها.

فبعد أن جاء أمر الله، ووطأت قدما آدم عليه السلام وزوجه الأرض، وأبناؤه من بعده، وجدوا هذه الأرض- البيئة وعناصرها- مهيأة كما ينبغي، لأن تكون الحياة البشرية عليها سهلة ميسرة.

وبقيت الحياة الإنسانية كذلك حقبة من الزمن، إلى أن جاء التطور الصناعي. هذا التطور الذي بني على نظرة غير إسلامية، إتسمت بالمادية البحتة، مفتقدة إلى أهم بعد، كان يجب أن يؤطرها، ويحدد معالمها.

ألا وهو البعد العقدي الروحي، المتأصل في الكون والبيئة بجميع عناصرها.

فكانت نظرة مادية جافة، نظرة للبيئة على أنها خلقت للإنسان من أجل أن يحيا حياة رغدة، ولو أدى ذلك إلى استتراف البيئة نفسها.

فأدى ذلك التصور إلى إفساد البيئة، والوقوع في مشكلة ما يسمى اليوم بـ «التلوث البيئي»، الذي أصبح هم البشرية جمعاء.

والطامة الكبرى، حينما نرى الأمة الإسلامية قد غفلت عن منهج ربها، واتبعت الغرب ومنهجه في الحياة، فأصبحت شريكا في إفساد البيئة وعناصرها.

لهذا كانت فكرتي للكتابة في هذا الموضوع، موضوع البيئة، انطلاقا من خلفيتنا العقدية الإسلامية، التي نظرت للبيئة بجميع عناصرها، نظرة تكامل واعتدال.

والتي كان لها الدور الأساس في بيان حقيقة البيئة، وفي وضع الأطر السليمة للتعامل الإنساني معها. إذ جعلت علاقة الإنسان بالبيئة، علاقة توافق مبنية أساسا على البعد العقدي الروحي لهذه الأخيرة- البيئة-.

والذي نتج عنه صيانة للبيئة واستثمار لمواردها.

فكان البحث موسوما بـ «البعد العقدي الإسلامي للبيئة وأثره في المحافظة عليها».

واختياري لمصطلح- البعد العقدي الإسلامي للبيئة- لأن منهج القرآن والسنة، في الدلالة على وجود الله تعالى وكمال صفاته كان عبر مشاهد البيئة بجميع عناصرها.

فأنت ما إن تتأمل في البيئة وعناصرها، إلا وترى من خلالها عظمة الخالق عز وجل، وجميل صنعه، وسعة علمه، وجليل قدرته، فأصول العقيدة الإسلامية متجلية بوضوح عبر البيئة وعناصرها.

وأما عن مصطلح البيئة فهي كمصطلح- لم تأت في القرآن أو السنة بلفظها- البيئة- ولكن وجد لفظ دال عليها وشامل لها، وهو لفظ "الأرض: وما تدل عليه.

وأما عن- المحافظة عليها- فهو أثر البعد العقدي الإسلامي في صيانتها من الفساد وتنميتها.

-وعن أهمية الموضوع، فإنه يعد مهما من جانب معرفة حقيقة البيئة، وبيان طبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة في ضوء العقيدة الإسلامية، وهو ما يتجلى بوضوح عبر آيات القرآن الكريم، التي فيها ذكر لعناصر البيئة، وكذلك عبر أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت هذه الحقيقة الناتجة عن نظرة العقيدة الإسلامية للبيئةحقيقة تامة، حيث يتضح ذلك عبر ملاحظتنا للتصوير غير الإسلامي للبيئة الذي فشل عن تقديم تعريف مضبوط للبيئة، أو تقديم حقيقة، ولو نسبية عن البيئة، والذي فشل أيضا في تحديد علاقة الإنسان بالبيئة، فجعلها علاقة استتراف وعداوة. فيكون مثل هذا الموضوع مهما في هذا المجال، بل وضروري.

كما يعد الموضوع مساهمة في إحياء نظرة بيئية، كانت عند سلفنا الصالح. وهي جزء لا يتجزأ من عقيدتنا، اضمحلت مع مرور الوقت، والتي كانت أنموذجا يقتدى به في مجال التربية البيئية.

* إشكالية الموضوع:

إن نظرة الغرب- غير المسلمين- للبيئة، نظرة مادية جافة، واعتقاده أن البيئة وجدت لأجله، وبالتالي فهي مسخرة له ولرغباته، كيف ما شاء دون ضابط، جعلته يستنزفها، متجاوزا لقوانينها الثابتة التي خلقها الباري عز وجل عليها، والتي تصونها وتحافظ على صلاحها.

فأدت تلكم النظرة وذلكم التصور، المبني على استعداء البيئة إلى إفسادها، وظهر ما يسمى بـ «التلوث البيئي».

وبعد أن زادت حدّة التلوث البيئي، وأصبح يهدد حياة البشرية جمعاء، سارع علماء الغرب في تحضير الدراسات والمقترحات، من أجل إصلاح ما فسد من البيئة، لكن أغلب المشاريع باءت بالفشل، أو كانت عبارة عن حبر على ورق فحسب، وذلك لأنها بنيت على تصور مادي بحت، وأغراض مصلحية نفعية محدودة، وركزت في مشاريعها البيئية على الجانب المادي الاقتصادي.

وبالتالي إذا تعارض جانبها الاقتصادي مع المحافظة على البيئة، غلبت اقتصادها على حماية البيئة: ومن أهم أمثلته قرارات الولايات المتحدة الأمريكية في عدم الاعتراف بقرارات مؤتمرات الحفاظ على البيئة في العالم، والحد من التسلح النووي وعلى رأسها عدم اعترافها بقرارات كيوتو حول مشروع التقليل من كارثة الاحتباس الحراري.

وقد فشلت تلكم المشاريع، لأنها أصلا تفتقد إلى النظرة الشمولية للبيئة والإنسان، متجاهلة البعد العقدي الروحي للبيئة.

لذلك أصبحت هناك حاجة ملحة، إلى دراسة البعد العقدي للبيئة، الذي يهيكل علاقة الإنسان بالبيئة، ويصونها، ويدرأ عنها الإفساد.

لهذا جاء عنوان بحثنا «البعد العقدي الإسلامي للبيئة وأثره في المحافظة عليها»، منطلقا فيها بعدة أسئلة، أحاول الإجابة عنها عبر البحث وهي كالتالي:

- كيف كانت مكانة البيئة في العقيدة الإسلامية ؟.

- ما هي مظاهر تجلي البعد العقدي الإسلامي في البيئة وعناصرها ؟.

- ولما تعرضت البيئة لاستزاف بشع وإفساد خطير: ماهي حقيقة هذا الفساد البيئي؟

- وماهي أسبابه ونتائجه؟

- وأسمى من ذلك ، هل كان لتجلي البعد العقدي الإسلامي للبيئة، الأثر في المحافظة عليها؟

***أسباب اختيار الموضوع وأهدافه:**

هناك مجموعة أسباب موضوعية وذاتية، قادتني لدراسة الموضوع والبحث فيه.

فأما عن السبب الذاتي، فهو نابع عن حب كبير نشأ بداخلي اتجاه البيئة وعناصرها، وبخاصة الطبيعة (أو البيئة النباتية والحيوانية)، وتقوى حينما مررت بمدرسة الكشافة الإسلامية الجزائرية، التي من أهم بنود قانون الكشاف بها:

- أن الكشاف محب للطبيعة ويرى فيها قدرة الخالق.

وأما عن الأسباب الموضوعية، فسأذكر منها:

1- أهم سبب وجهني لاختيار الموضوع، هو عدم تركيز الدراسات السابقة على تبيين البعد العقدي الإسلامي للبيئة وتأصله فيها، وإفراده بالدراسة والتفصيل، على الرغم من أنه الأصل فيها، فالبيئة وعناصرها (الأرض والسماء وما فيهما) هي كتاب الله المنظور، وهو أساس التصور الإسلامي اتجاه البيئة، الذي ينتج عنه السلوك الرشيد، الذي يعمر البيئة ويصونها من الإفساد.

2- أن غالبية الدراسات، وخاصة الغربية منها- التي تناولت البيئة كعلم أو كموضوع، تبنى على إيديولوجيات وخلفيات فكرية، غير إسلامية، وفلسفية، لذلك كان لزاما علينا دراسة البيئة كعلم وكموضوع، بخلفيتنا العقدية الإسلامية.

كما حددت مجموعة أهداف، أسعى إلى تحقيقها عبر البحث وهي كالتالي:

1- إثبات تأصل البعد العقدي الإسلامي في البيئة وعناصرها، وأنه الأصل فيها.

2- تحسيس المجتمعات الإسلامية، والأمة المسلمة، بدورها الريادي في هذه الحياة، عبر حملها لأمانة الاستخلاف في الأرض، فمن أعظم الكبائر عند الله تعالى، التفريط في هذه الأمانة.

3- تأصيل الأسس العقدية للتربية البيئية في المجتمع الإسلامي.

4- التأكيد على نجاعة المشروع البيئي الإسلامي، المبني على العقيدة الإسلامية، في حماية البيئة وصيانتها من الإفساد الذي تعرضت له.

5- المساهمة في مناقشة الأزمة البيئية المعاصرة، عبر طرح البديل الإسلامي واقتراح الحلول لها.

**الدراسات السابقة:**

من حيث الدراسات السابقة لموضوع البحث، فهي على قسمين:

دراسات إسلامية، ودراسات غير إسلامية، تناولت موضوع البيئة والمحافظة عليها.

فأما عن الدراسات الإسلامية، فهي في مجملها دراسات تناولت موضوع البيئة بطابع شمولي، ركز على الجانب التشريعي والفقهي في مجال البيئة والمحافظة عليها.

وربما أشهر دراسة في هذا المجال، تلكم التي قدمت في إطار جائزة دولة قطر حول أحسن بحث في مجال البيئة والمحافظة عليها، وهي دراسة الدكتور عبد المجيد النجار الموسومة بـ «قضايا البيئة من منظور إسلامي»، التي تناول فيها البيئة في الإسلام، وهي الوحيدة تقريبا التي أشارت إلى البعد الروحي العقدي كبعد متأصل في البيئة، إلى جانب دراسة الدكتور يوسف القرضاوي الموسومة بـ «رعاية البيئة في شريعة الإسلام»؛ ولكن جاء ذلك في إطار شمولي غير مفصل ولا مستقلا.

وعلى العموم فالدراسات الإسلامية السابقة، تناولت البيئة في الإسلام بإحدى طريقتين:

**الأولى**: إما أنها تدرس موضوع البيئة، دراسة شاملة، ويأتي البعد العقدي الروحي للبيئة، كبعد من مجموع أبعاد متعددة، فلا يشبع لذلك، بحثا وتفصيلا.

**والثانية**: أو أنها تنطلق من البعد العقدي الروحي للبيئة، لتؤصل لباقي الجوانب التشريعية والفقهية في مجال التعامل مع البيئة.

هذا في مجال الدراسات الإسلامية، أما عن القسم الثاني، وهو الدراسات غير الإسلامية للبيئة، فنجدها تدرس البيئة، دراسة مادية جافة، وخالية تماما من الجانب الروحي المتأصل فيها.

***منهج البحث:**

اعتمدت في بحثي هذا، على ثلاثة مناهج أساسية هي:

- الاستقراء: وذلك عبر تتبع ذكر البيئة والمشاهد البيئية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ودلالتها من الناحية العقدية الإسلامية.
- التحليل: وهذا عبر تحليل النصوص والرجوع إلى التفاسير، لبيان المعنى. وهذا المنهج واضح عبر فصول البحث.
- الاستنباط: ويتضح ذلك خاصة في الفصل الثالث للبحث، حينما أستشف علاج الفساد البيئي في ضوء العقيدة الإسلامية، عبر نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، والقواعد الفقهية والأصولية.

***تخريج الآيات:**

اعتمدت في تخريج الآيات على رواية حفص، لأنها الرواية العامة على المصادر والمراجع وكذا كتب التفسير.

حيث اعتمدت كتابة النص القرآني في المتن، والإحالة على السورة ورقم الآية في الهامش.

***تخريج الأحاديث:**

اعتمدت في تخريج الأحاديث بإحالتها إلى مظانها مرتبة، فأبدأ بالصحيحين للبخاري ومسلم، ثم الموطأ للإمام مالك، فالمسند للإمام أحمد، فالسنن للترمذي وأبي داود وابن ماجه وغيرهم من أصحاب السنن، وقد اعتمدت كتابة النص الشريف في متن البحث، والإحالة إلى الهامش، عبر ذكر المصدر، والكتاب الذي يوجد به الحديث أو الكتب التي تحوي الحديث مع بيان رقم الحديث.

***المصادر والمراجع:**

حاولت أن تكون متعددة ومتنوعة، ونظرا لطبيعة البحث، كان لزاما علي أن أعتمد أساسا على النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة، عبر القرآن الكريم، وكتب الحديث، كالصحيحين، والموطأ والمسند والسنن.

كما اعتمدت في بحثي المتواضع هذا، على التفاسير بدرجة أولى، وخاصة كتب التفسير الموضوعي، ومن أهمها: "في ظلال القرآن" لسيد قطب، و "الأساس في التفسير" لسعيد حوى، و "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور وغيرها.

وتليها المراجع أو الدراسات التي تناولت الموضوع أو لها صلة به- على قلتها وعدم توفرها- إلا أننا استفدنا مما تيسر لنا، ونذكر منها: "البيئة ومشاكلها وقضاياها" لمحمد عبد القادر القفي، و "الإسلام وحماية البيئة من التلوث" لحسين مصطفى غانم، و "قضايا البيئة من منظور إسلامي" لعبد المجيد النجار، و "قضايا البيئة من منظور إسلامي" لإحسان هندي، و"رعاية البيئة في شريعة الإسلام" ليوسف القرضاوي وغيرها من كتب الاختصاص.

كما حرصنا على تنوع المراجع العقدية؛ منها: "دلائل التوحيد" لمحمد جمال الدين القاسمي، و "كبرى اليقينيات الكونية" لمحمد سعيد رمضان البوطي، و "الأدلة المادية على وجود الله" للشعراوي، و "منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام" لجمعة أمين"، وكذا المراجع الفكرية والفقهية، مع الرجوع إلى المجلات المختصة في البيئة أو التي تناولت الموضوع في ثناياها ، مع

الرجوع كذلك إلى الأقراص المضغوطة كما هو الأمر بالنسبة للموسوعة العلمية لزغلول النجار، وكذا بعض مواقع الإنترانيت التي تعرضت لموضوع البيئة.

**الفهارس:**

حيث جعلت فهرسا للآيات القرآنية، ذكرت فيه السورة، ثم نص الآية، ثم رقم الآية أو الآيات، ثم ذكر رقم الصفحة أو الصفحات التي تتواجد بها الآية، وفهرسا ثانيا للأحاديث، ذكرت فيه نص الحديث أو طرف الحديث الأول، ثم ذكر رقم الصفحة أو الصفحات التي تشمل الحديث، وفهرسا ثالثا للمصادر والمراجع، وقد اعتمدت في فهرس المراجع على الترتيب العام، بحيث يكون القرآن في الصدارة، ثم المعاجم، ثم كتب التفسير، ثم كتب الحديث، ثم يليها قسم الكتب الأخرى، ثم قسم المجلات، ثم قسم الأقراص المضغوطة، ثم قسم شبكات الإنترنيت.

وعبر هذا الترتيب العام، اعتمدت ترتيب المؤلفات ترتيبا ألف بائيا على حسب أسماء الشهرة لمؤلفيها.

***خطة البحث:**

يفتتح البحث بمقدمة فيها تمهيد للبحث، مع إعطاء صورة عامة واضحة عن شكل البحث، ثم قسمت البحث إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول رئيسية:

**– الفصل التمهيدي:**

وقد عنونته بـ «توضيح لأهم المصطلحات»، وضمنته ثلاثة مباحث، وضحت في المبحث الأول: المقصود بالبعد العقدي الإسلامي للبيئة، عبر توضيح معنى البعد لغة واصطلاحا، وأنه الجانب أو التجلي الظاهر أو المحسوس من ظاهرة معينة، كما أشرت إلى دور العقيدة الإسلامية في حياة المجتمعات ودورها في الحياة، وأنها دستور حياة، وأن البيئة كما أن لها أبعاد جمالية فنية وثقافية أدبية وعلمية اكتشافية، فلها بعد أصيل فيها وهو البعد العقدي، حيث أن أصول العقيدة الإسلامية متجلية بشكل بارز فيها وعبرها، وأنها شاهدة بوحدانية الخالق وصفاته.

أما المبحث الثاني، فقد ذكرت فيه مفهوم البيئة في اللغة العربية وفي الاصطلاح عبر القرارات الدولية وتعريف العلماء والباحثين، كما ذكرت عناصر البيئة عبر شرح عام، وهي مجموعة البيئات التي باجتماعها تعطينا البيئة، وهي: البيئة الجوية، والبيئة الحيوانية، والبيئة النباتية، والبيئة المائية، والبيئة الأرضية.

وفي المبحث الثالث، ذكرت مفهوم المحافظة على البيئة، لغة واصطلاحا وأن المحافظة على البيئة، تتمثل في اصطلاحين مجتمعين هما: الرعاية والصيانة للبيئة.

كما وضحت أن دراستنا للبعد العقدي للبيئة في الإسلام، من أجل أن نوضح وأن له دور عظيم في المحافظة عليها وأثر جميل في صيانتها من الفساد والإفساد.

**– الفصل الأول:**

وقد عنونته بـ «مكانة البيئة في العقيدة الإسلامية»، وضمنته ثلاثة مباحث، ذكرت في الأول المفهوم الإسلامي للبيئة، بذكر مصطلح البيئة عبر أصله الاشتقاقي "باء" في القرآن الكريم، ومعنى مصطلح الأرض، التي هي أوسع مفهوما من البيئة، وتشملها، كما ذكرت فيه عناصر البيئة عبر القرآن الكريم، ووضحت كيف أن القرآن الكريم ذكر الحقيقة التامة لهذه العناصر، وطريقة عرضه لها عبر مشاهد إيمانية متحركة، وقارنت المفهوم الإسلامي للبيئة مع المفاهيم الحديثة لها، ووجوه تفوق المفهوم الإسلامي.

أما المبحث الثاني، فقد ذكرت فيه تجلي أصول العقيدة الإسلامية عبر البيئة، ووضحت ذلك عبر أصلي العقيدة الإسلامية، الله واليوم الآخر، فوضحت عبودية البيئة لله تعالى، وهذا عبر شهادتها الصريحة بوجود الله، وكمال صفاته. وكذا شهادتها الصريحة باليوم الآخر وعقيدة البعث.

وفي المبحث الثالث، وضحت علاقة الإنسان بالبيئة في ضوء العقيدة الإسلامية، التي أطرت هذه العلاقة، واستخلصنا أنها علاقة توافق وود وانسجام، بين الإنسان الذي يحمل أمانة الاستخلاف وعمارة الأرض، والبيئة (الأرض) المسخرة له لأداء أمانته كما ينبغي. وأنها النظرة الوحيدة الصحيحة التي تمتاز بها عقيدة الإسلام عن باقي العقائد.

– **الفصل الثاني:**

وقد عنونته بـ «الفساد البيئي أسبابه ونتائجه وآثاره»، وقد كان من الضروري التطرق إلى هذا الفصل عبر البحث، لكي نوضح عملية الإفساد التي تعرضت لها البيئة ونفهمها، وضمنته مبحثين اثنين، ذكرت في المبحث الأول؛ أسباب الفساد البيئي، والتي فصلتها عبر الأسباب الفكرية والأسباب المادية، وأوضحت من خلال ذلك أن السبب الرئيس في هذا الفساد هو الانحراف عن منهج الله تعالى.

أما المبحث الثاني؛ فقد ضمنته أهم النتائج والآثار المترتبة عن الفساد البيئي.

– **الفصل الثالث:**

وقد عنونته بـ «علاج الفساد البيئي في ضوء العقيدة الإسلامية»، وضمنته مبحثين، فأما المبحث الأول، فقد ذكرت فيه علاج الفساد البيئي في العقيدة الإسلامية على مستوى التصور، ذلك أن منطلق الإصلاح يكون من التصور اتجاه البيئة، وبينت ذلك من خلال ركنين من أركان الإيمان وهما أصلي العقيدة الإسلامية؛ الإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، ووضحت كيف يؤدي ذلك إلى وجود تصور صحيح وسليم حول البيئة، مما يؤدي إلى صيانتها والحفاظ عليها.

وأما المبحث الثاني؛ فضمنته علاج الفساد البيئي في العقيدة الإسلامية على مستوى السلوك، الذي هو تطبيق عملي للتصور، ووضحت ذلك من خلال ثلاثة عناصر متدرجة، هي الحفاظ على البيئة، ثم تنظيفها، ثم استثمارها وتنميتها. وخلصت فيه إلى أن ذلك برنامج أنموذج، يستحق التطبيق.

وذيلت أخيرا البحث، بخاتمة، ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها عبر هذا البحث المتواضع.

وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

## الفصل التمهيدي: تحديد المصطلحات

عنوان الرسالة يحتوي على مجموعة من المصطلحات يجعل من الضرورة تحديد مفهومها قبل الشروع في إنجاز البحث لأنها بمثابة مفاتيح له.

هذه المصطلحات هي البعد العقدي الإسلامي ، البيئة ، المحافظة على البيئة.

أولا:المقصود بالبعد العقدي الإسلامي للبيئة

*** مفهوم البعد لغة:**

جاء في لسان العرب، أن البُعْدُ: خلاف القرب، تقول: بَعُدَ الرجلُ بالضم، وبَعِدَ بالكسر، بُعْدًا وبَعَدًا، فهو: بعيد[1].

ومنه قول النابغة، فتلك تُبَلغُني النعمان أن له  فضلاً على الناس في الأدنى وفي البُعْدِ

ومنه كذلك قوله عز وجل في سورة السجدة: ﴿**أولئك ينادون من مكان بعيد**﴾[2].

قال ابن عباس: سألوا الرد حين لا رد، وقيل من مكان بعيد: من الآخرة إلى الدنيا.

وقال مجاهد: أراد من مكان بعيد، من قلوبهم يَبْعُدُ عنها ما يُتْلَى عليهم، لأنهم إذا لم يعوا فهم بمنزلة من كان في غاية البعد[3].

---

[1] ابن منظور لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير ، د. ط. ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .، ج1، ص ص 309، 311.

[2] سورة فصلت ، الآية 44.

[3] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ط2، مكتبة دار السلام ، الرياض ، 1998م، ج4، ص131.

وجاء كذلك أن البُعْدُ: الهلاك، مصداق قوله تعالى: ﴿**ألا بعدًا لمدين كما بعدت ثمود**﴾[1]. وجاء في ذلك قول مالك بن الريب المازني:

يقولون لا تبْعُدْ وهم يدفنوني  وأين مكان البُعْدِ إلا مكانيَا؟.

كما جاء البُعْدُ: بمعنى الإمعان، فقد ذكر ابن منظور، الأثر عن الرسول ρ: أنه كان يُبْعِدُ في المذهب أي الذهاب عند قضاء الحاجة، ومعناه: إمعانه في ذهابه إلى الخلاء، وأبْعَدَ فلان في الأرض: إذا أمعن فيها[2].

*** مفهوم البعد اصطلاحًا:**

تعددت معاني البعد في الاصطلاح واختلفت :

فهو عند المتصوفة : بعد العبد عن المكاشفة والمشاهدة .

وهو في عرف العلماء: امتداد بين الشيئين لا أقصر منه، أي لا يوجد بينهما أقصر من ذلك الامتداد،فأقصر امتداد بين شيئين يسمى البعد[3].

وهو عند المتكلمين: امتداد موهوم، مفروض في الجسم، أو في نفسه، صالح لأن يشغله الجسم، وينطبق عليه بعده الموهوم، ويسمى خلاءً أيضًا[4].

---

[1] سورة هود، الآية 95.

[2] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وآخرون، طبعة دار المعارف، د.ت، فصل: ب ع د،ج1، ص 309-311.

[3] محمد علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق لطفي عبد البديع ، د ط ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة، 1963م ، ج1، ص164.

[4] محمد علي الفاروق التهانوي، المصدر نفسه ، ج1، ص 164.

* واستخلصنا المفهوم الاصطلاحي للبعد، من المعجم العربي الأساسي، أن البعد جمع أبعاد ويعني أحد شيئين:

معنى سيكولوجي: أبعاد الشعور أي سماته،أو مظاهر عمليات الشعور، من شدة أو ضعف، وضوح أو غموض.

هو امتداد موهوم غير محسوس، كالبعد الثقافي والحضاري [1] .أي أن البعد، يمثل أحد جوانب ظاهرة معينة، مع تكامل لهذا البعد مع مجموع الأبعاد الأخرى للظاهرة.

و نتوصل من هذا إلى أن البعد، متعلق بالجوانب الظاهرة، فهو- إذن- يتجلى من خلال المظاهر، ولكنه غير محسوس، إنما يستنتج استنتاجا.

والمعنى الثاني هو الأقرب و الأصوب لمفهوم البعد الذي نقصده .

*** مفهوم -العقدي الإسلامي-:**

إن العقيدة الإسلامية جاءت لتعطي المعنى الحقيقي للوجود، ولتقرر ثنائية الوجود ، وأن هناك الخالق المدبر ، المبدع المصور ، واجب الوجود ، وهناك المخلوق الذي هو هذا الوجودمن حولنا وهذا الإنسان ، الذي خلقه الله عز وجل وميزه عن باقي المخلوقات ، وشرفه بعهد الاستخلاف في الأرض .

قال تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [2]

---

[1] أحمد العايد، وأحمد مختار، والجيلاني بن حاج يحي و آخرون، المعجم العربي الأساسي،د ط، طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة، بيروت- لبنان، 1789م، ص 165.

[2] سورة البقرة ، الآية 30.

ثم ضبطت العقيدة الإسلامية التصور الحقيقي للعلاقة بين الله والكون والإنسان ، فهي علاقة الربوبية والخلق والتصوير والإبداع من الله سبحانه وتعالى (واجب الوجود) .

وهي علاقة العبودية الخالصة لله تعالى والتمكين لدين الله من طرف الإنسان والأرض التي هي جزء من الكون .

كما عنيت العقيدة الإسلامية ببيان علاقة الإنسان بهذه الأرض –البيئة وعناصرها– وأنها علاقة التسخير والتذليل من طرف البيئة وعناصرها ، وعلاقة الاستخلاف والإعمار الطيب وفق شرع الله تعالى للأرض من طرف الإنسان .

فقد عرضت لنا نصوص القرآن العديدة صورة الأرض والسماوات –البيئة وعناصرها– على أنها :«صفحة نقشت عليها براهين وجود المكون ، ودلائل وحدانيته نقشا يتبينه العالم والجاهل والأمي والقارئ »[1]

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿**أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون**﴾[2]

وهو خطاب خاص بالذين كفروا ، كي يتدبروا ويعملوا أنظارهم في البيئة وعناصرها من حولهم لكي يهتدوا ويؤمنوا بالله الواحد الأحد .

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي ، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ط3، دار الفكر ، دمشق ، 2000، ص81.

[2] سورة الأنبياء ، الآيات 30-33.

كما أنه في نفس الوقت خطاب للأمة الإسلامية لتنظر إلى البيئة وعناصرها النظرة الحقة على أنها مسخرة للإنسان ، وهي مخلوقة لله تعالى ومربوبة له عز وجل ، فيقوى إيمان الفرد المسلم ويثبت على دينه ويؤدي أمانته التي حملها .فحقا البيئة وعناصرها هي كتاب الله المنظر وهذا الذي أشرنا إليه من خلال عنوان البحث بـــ «البعد العقدي الإسلامي للبيئة » فأما عن حصرنا لمصطلح العقدي بلفظة الإسلام فهو للتوضيح بأن الدراسة تكون محصورة في جانب العقيدة الإسلامية ، وليس لدراسة نظرة باقي العقائد للبيئة دخل في ثنايا بحثنا .

كما أننا نقصد كذلك بالإسلامي ، أننا سوف نستشف هذا البعد من النبع الصافي للعقيدة الإسلامية وهما الكتاب والسنة .

**ثانيا: مفهوم البيئة وعناصرها**

*** مفهوم البيئة في اللغة:**

يرجع الأصل اللغوي لكلمة "البيئة" في اللغة العربية إلى المصدر "بوأ"، ومنه "تبوأ" أي: حل ونزل وأقام، والاسم منه البيئة، بمعنى: مترل.

وقد ذكر ابن منظور لكلمة "تبوأ" معنيين هما:

**الأول**: بمعنى إصلاح المكان: وتهيئته للمبيت فيه، قيل: "تبوأه"، أصلحه وهيأه، أي: جعله ملائما لمبيته، ثم اتخذه محلا له.

**الثاني:** بمعنى النزول والإقامة، كأن تقول: "تبوأ المكان" أي: نزل فيه وأقام به[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿**أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا**﴾[2] أي: اتخذا وهيئا بمصر بيوتا لقومكما[3].

وقوله تعالى في سورة الحشر: ﴿**والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم**﴾[4] أي: الذي سكنوا المدينة من الأنصار واستقرت قلوبهم على الإيمان بالله ورسوله[5].

وفي الحديث الشريف، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار﴾[6]. أي: ليترل مترله في النار.

مما سبق نتوصل إلى أن مفهوم البيئة في اللغة يقصد منه الترول والحلول في المكان، فالبيئة تدل على المترل والموطن والموضع الذي يتخذه الإنسان مستقرا له.

*** مفهوم البيئة في الاصطلاح:**

من الصعوبة بمكان تحديد مفهوم جامع مانع للبيئة بسبب كثرة تعاريفها وتنوعها.

فقد جاء في قاموس لاروس الفرنسي أن البيئة (Environnent) هي: «مجموعة العناصر الطبيعية والصناعية التي تمارس فيها الحياة الإنسانية»[7].

---

[1] ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص115.

[2] سورة يونس، الآية 87.

[3] وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991م، ج11، ص244.

[4] سورة الحشر، الآية 9.

[5] وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ج28، ص77.

[6] رواه مسلم، كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث، ج18، ص129. وأخرجه أحمد في المسند، ج3، تحت رقم 1413، 1428.

[7] أحمد عبد الكريم سلامة، حماي البيئة في الفقه الإسلامي، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، عدد 01، ماي- جوان 1998م، ص 271.نقلا عن قاموس لاروس الفرنسي.

وجاء تعريف البيئة عبر مؤتمر استكهولم عام 1972م بأنها: «كل شيء يحيط بالإنسان»[1].

كما عرفها مؤتمر تبليس لعام 1977م بأنها: «مجموعة العوامل والنظم الطبيعية الاجتماعية، التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى، والتي يستمدون منها زادهم، ويؤدون فيها نشاطهم»[2].

وكذلك عرفها علماء العلوم الطبيعية، فذكروا أن للبيئة مفهومين:

«أولاهما البيئة الحيوية وهي كل ما يختص، لا بحياة الإنسان نفسه من تكاثر ووراثة فحسب، بل تشمل أيضا علاقة الإنسان بالمخلوقات الحية الحيوانية والنباتية، التي تعيش معا في صعيد واحد.

أما المفهوم الثاني وهي البيئة الطبيعية أو الفيزيقية، وهذه تشمل موارد المياه والفضلات والتخلص منها، والحشرات وتربة الأرض والمساكن، والجو ونقاوته أو تلوثه، والطقس وغير ذلك من الخصائص الطبيعية للوسط»[3].

وعموما فإن التعريف الاصطلاحي يكاد يتفق مع التعريف اللغوي لكلمة "البيئة". فهي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، مع باقي المخلوقات الحية وغير الحية، من حيوان ونبات، وهواء وماء وغيرها، لتستمر حياته، فيؤثر فيها ويتأثر بها.

---

[1] إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، ط 01، دار ابن كثير، دمشق- سوريا، 2001، ص 16.

[2] سعيد محمد الحفار، نحو بيئة أفضل، ط 01، دار الثقافة، الدوحة- قطر، 1985م، ص 46.

[3] أحمد عبد الكريم سلامة، المرجع نفسه، ص 271.

* عناصر البيئة:

ونقصد بالعناصر هنا، مكونات البيئة، حيث استخلصناها من التقسيمات التي أتى بها علماء البيئة فوجدناها تتركز حول بيئات ثلاثة هي البيئة الأرضية والبيئة المائية والبيئة الجوية.

وسنذكرها فيما يلي، بشيء من التفصيل.

**1- البيئة الأرضية (اليابسة):**

وهي الجزء البري من سطح الكرة الأرضية، الذي يعيش عليه الإنسان مع باقي المخلوقات من حيوان ونبات وغيرها.

وهذا الجزء يشكل نسبة 25 % من سطح الأرض كاملا، نسبة الجزء الصالح للزراعة فيها يقدر بـ 24 % من المساحة الإجمالية لليابسة.

وعلى الرغم من ذلك، فلا يستغل حاليا منها سوى 5610, % من المساحة الصالة للزراعة، فلو استثمرت جميعها وزرعت، لحققت الاكتفاء الغذائي لأزيد من 12 مليار من البشر، أي ضعف عدد سكان الأرض حاليا [1] .

هذه البيئة هي المورد الغذائي الأساسي بنسبة 65 % من غذاء الإنسان، سواء الغذاء النباتي أو الحيواني.

وعلى هذه البيئة، نجد البيئتين الحييتين وهما: البيئة النباتية والبيئة الحيوانية.

---

[1] إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص 22-25.

## 2- البيئة المائية:

لا أحد يجهل ضرورة الماء للحياة ، فهو أساس الحياة على وجه الأرض . لذلك نجد نسبة المياه على مستوى سطح الأرض أكثر بكثير من اليابسة، حيث تبلغ نسبة البحار والمحيطات وحدها، من المساحة الإجمالية للأرض 71 %، مشكلة مسطحات مائية صالحة تقدر بـ 97 % من كمية المياه الإجمالية على الأرض، و 03 % الباقية هي عبارة عن مياه عذبة صالحة للاستعمال[1] .

كما تضم هذه البيئة ثروة حيوانية ونباتية هائلة، يستفيد منها الإنسان في حياته.

## 3- البيئة الجوية:

هي ما يصطلح عليه علميا، بالغلاف الجوي، عرفه أحد الباحثين، بأنه: «الكتلة الغازية التي تحيط مباشرة بالكرة الأرضية، وتتحرك بحركتها». وبذلك يخرج عن هذا المفهوم الفضاء الخارجي، الخارج عن الأرض.

ومن أهم الغازات الثابتة، المكونة لهذه البيئة:

الآزوت أو النتروجين ($N_2$)، حيث أن نسبته في الجو تقدر بـ78,08 %.

الأوكسيجين ($O_2$)، ونسبته في الجو:20,95 %.

الآرغون (A)، ونسبته في الجو تقدر بـ0,93 %.

---

[1] نيقولا سكروتزي واشتياق رسول، الأرض الكوكب الفريد، ترجمة ميشيل خوري، د-ط، ص 72.

باقي الغازات (أخلاط من غازات)، نسبتها0,1 %، من أهمها: ثاني أكسيد الكربون ( $CO_2$)، والأوزون ($O_3$) [1].

وهذه البيئة لها دور بارز في حماية الأرض من أخطار الأشعة الكونية، والشهب والنيازك وأخطار الفضاء الخارجي، وكذلك تمد الأرض بالماء، عن طريق تكاثف السحب وسقوط الأمطار.

**ثالثا: مفهوم المحافظة على البيئة**

قبل التطرق إلى توضيح مقصودنا، من المحافظة على البيئة، لابد من بيان معنى مصطلح "المحافظة" لغويا واصطلاحا.

***معنى المحافظة لغة:**

جاء في لسان العرب لابن منظور، أن المحافظة: المواظبة على الأمر[2]، وفي التنزيل العزيز: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾[3]: أي صلوها في أوقاتها.

ويقال: حافظ على الأمر والعمل، وثابر عليه، إذا داوم عليه.

وحفظت الشيء حفظا إذا حرسته.

والمحافظة: كذلك المراقبة.

---

[1] إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص 29.

[2] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج2، ص929.

[3] سورة البقرة ، الآية 238.

والحفيظ: من صفات الله عز وجل، لا يعزب عن حفظه، الأشياء كلها، مثقال ذرة في السماوات والأرض.

كما أن الحفيظ، هو المحافظ.

وجاء أيضا أن المحافظة: الوفاء بالعقد والتمسك بالود.

والمحافظة والحفاظ: بمعنى الذب عن المحارم، والمنع لها، عند الحروب [1] .

*** معنى المحافظة اصطلاحا:**

مصطلح المحافظة مشتق من: حفظ أو الحفظ.

وقد جاء في المعجم العربي الأساسي، أن المحافظة من الحفاظ، ولها عدة معان نذكر أهمها، والتي توافق معنى المحافظة التي نقصدها في بحثنا، وهي: الصيانة، والوفاء والحراسة والرعاية.

فنقول: حافظ يحافظ محافظة وحفاظا، على الشيء بمعنى، رعاه وصانه [2] . وهما الهامان في تعريف المحافظة اصطلاحا، حيث تعني: الرعاية والصيانة.

فالمحافظة قد تكون برعاية الشيء ولحفاظ عليه كما هو دون أن يطأه الفساد أو التلف.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 02، ص 929.

[2] أحمد العايد وآخرون المعجم العربي الأساسي، مرجع سابق، ص 332.

ومن ذلك نتوصل إلى تقارب المفهومين اللغوي والاصطلاحي للمحافظة ، فكلاهما يعني الرعاية والصيانة للبيئة وهو ما نقصده من بيان مفهوم المحافظة على البيئة، أي نريد أن نحقق رعاية البيئة وصيانتها مما تعانيه من إفساد وإتلاف.

وهذا عبر المشروع الإسلامي الذي عماده البعد العقدي الإسلامي لهذه البيئة .

فعن طريق بيان تجلي أصول العقيدة الإسلامية في البيئة وأن البيئة هي كتاب الله المنظور ننشأ المحبة والألفة بين الفرد المسلم والبيئة بجميع عناصرها، ونحقق الهدف المنشود لدى الإنسانية جمعاء في وقتنا الحالي ، وهو المحافظة على البيئة عبر تحقيق السلوك الإسلامي الذي يقوم على الرعاية والصيانة للبيئة انطلاقا من العقيدة الإسلامية .

لذلك عبرنا في عنوان بحثنا بـــ «أثره في المحافظة عليها» أي أثر هذا البعد العقدي الإسلامي للبيئة في رعاية البيئة وصيانتها من الإتلاف والإفساد .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفصل الأول: مكانة البيئة في العقيدة الإسلامية.

رغم أهمية البيئة، لم تول الاهتمام من خلال التشريعات والقوانين الدولية إلا في وقت متأخر جدا وذلك حينما أصبح شبح التلوث البيئي يهدد جزءا كبيرا من سطح المعمورة.

في حين أنه منذ أزيد من أربعة عشر قرنا ؟ منذ أن بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي من ربه عز وجل. نجد العقيدة الإسلامية قد أعطت البيئة مكانتها، من حيث ذكر ماهيتها، ومكانتها في هذا الوجود، وعلاقتها بالإنسان.

ولقد فاقت في ذلك باقي النظرات الوضعية أو الدينية للبيئة .

ذلك أن نظرة العقيدة الإسلامية للبيئة كانت متسمة بالشمولية التامة في بيان حقيقة البيئة ومكانتها في الوجود وهذا ما سنوضحه في مباحث هذا الفصل .

حيث نتطرق إلى مفهوم البيئة في الإسلام

- ثم نتطرق لحقيقتها ودورها في إطار العقيدة الإسلامية.

- ثم نبين علاقتها بالإنسان في ضوء هذه العقيدة وذلك أن اجتماع هذه العناصر الثلاثة يوصلنا إلى معرفة حقيقة البيئة وماهيتها، ومكانتها في العقيدة الإسلامية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الأول: المفهوم الإسلامي للبيئة

على ضوء إطلاعاتنا المحدودة في تعاريف مصطلح البيئة، لاحظنا أن المفهوم الدقيق لكلمة "بيئة" لم يتراءى بعد للعيان. فهناك تعاريف عديدة لها، تختلف فيما بينها في مفهومها للبيئة وبيان حقيقتها، وحتى في بيان مجالاتها المتعددة وتوضيح عناصرها.

ونحن نعلم أن المفهوم هو بوابة الانطلاق في تحديد ماهية الشيء وبيان حقيقته. لذلك سننطلق في بداية هذا الفصل، ببيان المفهوم الإسلامي للبيئة.

### المطلب الأول: مصطلح البيئة في القرآن:

من خلال معنى الآيات القرآنية التي اتخذناها مثالا لبيان مصطلح البيئة في القرآن، لاحظنا أن القرآن الكريم، لم يستخدم كلمة "بيئة" أو "البيئة" للتعبير عن المكان والمحيط الذي يعيش فيه الإنسان، بل عبر بالفعل "بوأ" ومشتقاته- وهذا معمم على كل الآيات التي ورد فيها التعبير عن ذلك-.

ومن هذه الآيات؛ قوله تعالى: ﴿**والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم**﴾[1]. أي: الذين سكنوا المدينة من الأنصار واستقرت قلوبهم على الإيمان بالله ورسوله[2].

وقد جاء في تفسير الآية في كتاب "في ظلال القرآن": «أي دار الهجرة، يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تبوأها الأنصار قبل المهاجرين، كما تبوؤوا فيها الإيمان، وكأنه مترل لهم ودار، وهو تعبير ذو ظلال، وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان، لقد كان دارهم ونزله ووطنهم، الذين تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم»[3].

---

[1] سورة الحشر، الآية: 09.

[2] أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد الله البردوني، مج 18، د-ط، ص 30.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، طبعة دار الشروق، ط 12، مج 06، ج 28، بيروت- لبنان، 1986م، ص 3526.

وقوله تعالى: ﴿**وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا**﴾[1]. أي بمعنى: التمكين والاستخلاف، والتهيئة، وفسرها القرطبي: بالمنازل حيث قال: فيه محذوف أي: بوأكم في الأرض منازل[2].

وقوله تعالى: ﴿**وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء**﴾[3].

جاء في تفسير الآية عند ابن كثير: «وقال ابن جرير: يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحبس»[4].

وقوله تعالى: ﴿**والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة**﴾[5].

وذكر ابن كثير قول: ابن عباس والشعبي وقتادة في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿**لنبوئنهم في الدنيا حسنة**﴾ قالوا: هي المدينة[6].

فإذا ما حللنا هذه السياقات القرآنية، ولاحظنا فعل "بوأ" الذي جاء عبرها، وجدنا أن الفاعل هو الله عز وجل، فهو الذي مكن للإنسان، وخلق له الأرض وهيـــأها لعيشه، وهو الأمر الذي يغاير ما كان من طرف الماديين؛ حيث قصروا الاستخدام على الاسم فقط "البيئة"، فاعتقدوا أنها وجدت هكذا بدون خالق عظيم.

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 74.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 7، ص 239.

[3] سورة يوسف، الآية: 56.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 02، ط 02، مكتبة دار السلام، الرياض- السعودية، 1998م، ص 35.

[5] سورة النحل، الآية: 41.

[6] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، مجلد 03، ص 196.

## المطلب الثاني: مصطلح "الأرض" ومدلولاتها في القرآن الكريم:

استخدم القرآن الكريم لفظ "الأرض" بدل كلمة "البيئة" للدلالة على المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، شاملة ما عليها من جبال وسهول، ونبات وحيوان. وما حولها من كواكب وأجرام.

فهذا المعنى الشامل والواسع للبيئة؛ والذي لم يتضح إلا في أواخر القرن العشرين، هو الذي تضمنه مفهوم كلمة "الأرض" وبصورة أكثر شمولا واتساعا، كما أوردها القرآن الكريم. فقد وردت "الأرض" في القرآن الكريم في مائتين وسبع وثمانين موضعا واستخدمت بدلالات عديدة[1].

وأهم هذه الدلالات، هما دلالتين أصليتين، تتبين من خلالها حقيقة هذه الأرض (البيئة):[2]

### 1- دلالة النشأة:

ونقصد بها، أن نوضح من خلال القرآن الكريم، بعض الآيات التي أشارت، وذكرت أن الله تعالى وحده هو خالق هذه البيئة، وهو وحده تعالى، الذي زودها وأنشأها وفق قوانين ونواميس كونية، وهو وحده تعالى المدبر لأمورها وشؤونها والكفيل بحفظها، ويتضح ذلك في:

قوله تعالى: ﴿**الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون**﴾[3].

---

[1] شوقي أحمد دنيا، التنمية والبيئة- دراسة مقارنة- دعوة الحق، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، عدد 137، جمادى الثانية، 1413 هـ، ص 13.

[2] محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1، مصر، 1999م، ص 15-16.

[3] سورة البقرة، الآية: 22.

يقول ابن كثير: «ومضمون الآية: أنه سبحانه وتعالى الخالق الرازق، مالك الدار وساكنيها ورازقهم، وبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره، ولهذا ختم الآية بقوله تعالى: ﴿**فلا تجعلوا لله أندادا**﴾»[1].

ويجيء التعبير الرباني، ومن الخالق لخلقه، ذلك الوصف الدقيق المتكامل حيث يقول تعالى: ﴿**والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين، وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما نزله إلا بقدر معلوم**﴾[2].

فمن خلال هاته الآيات الكريمات، يتضح لنا أن البيئة بجميع عناصرها، منشؤها جميعا من الله تعالى. فهو الخالق المبدع المصور.

وأمام هذا التذكير الرباني والوصف الدقيق المتكامل، تسقط كل دعاوى الماديين من أن الأرض أو البيئة وجدت هكذا صدفة.

فالله سبحانه وتعالى هو خالق هذه البيئة ومنشئها، وهو الذي زودها بالقوانين والنواميس الكونية الدقيقة، وهو سبحانه وتعالى الذي قدرها على ما هي عليه، فكل عنصر منها يؤدي دوره بدقة كما قدره الله تعالى، وبذلك تكون لنا بيئة محفوظة، وتستمر الحياة فيها، في جو من الدقة والحكمة والتوازن، كما قدر لها الخالق عز وجل: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**﴾[3].

### 2- دلالة الملكية:

فالمالك الحقيقي للأرض ومن فيها هو الله سبحانه وتعالى. أما الإنسان فهو خليفة الله في ملكه، ووصيه على البيئة بجميع عناصرها، وملكيته لها عارضة.

فمصيرها- كما بالنسبة للإنسان- إلى الله عز وجل.

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، مج 01، ص 100.

[2] سورة الحجر، الآيات: 19-21.

[3] سورة الفرقان، الآية: 02.

ويتضح ذلك في كثير من آية، نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلايذكرون**﴾[1].

وقوله: ﴿**الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء**﴾[3].

وقوله: ﴿**لله ما في السماوات وما في الأرض**﴾[4].

وقوله سبحانه: ﴿**لله ما في السماوات وما في الأرض**﴾[5].

وقوله سبحانه: ﴿**وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه**﴾[6].

فمن خلال هذه النصوص القرآنية، يصبح من الواجب على الفرد المسلم، أن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها. وأنها نعم أنعم الله بها عليه، وأنه عليه أن يقتصد فيها ولا يطغى، وأن يقابل الله تعالى بالشكر على نعمه.، قال تعالى:﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد**﴾.

---

[1] سورة المومنون، الآية:84-85.

[2] سورة إبراهيم، الآية: 02.

[3] سورة الشورى، الآية: 49.

[4] سورة البقرة، الآية: 284.

[5] سورة الزمر، الآية: 44.

[6] سورة الجاثية، الآية: 13.

## المطلب الثالث: عناصر البيئة في القرآن الكريم:

لقد بينا في الفصل التمهيدي، في دراسة لعناصر البيئة؛ أنها تتمثل في البيئات النباتية والحيوانية، والأرضية والجوية والبحرية.

نستطيع تصنيف هذه العناصر البيئية ضمن قسمين:

* عناصر حية، والتي تشمل البيئة النباتية، والبيئة الحيوانية.

* عناصر غير حية، والتي تشمل البيئة الأرضية، والبيئة الجوية، والبيئة البحرية.

وإذا أردنا أن نستشف هذه العناصر البيئية في القرآن الكريم، نجده قد تطرق إليها بالتفصيل الدقيق. حيث أعطى حقيقتها، ورسم سيرورتها والنواميس والقوانين الكونية التي خلقها الله عز وجل عليها.

وسنسعى إلى تبيين هذه العناصر البيئية؛ عنصرا عنصرا، ونرى كيف أبدع القرآن في التعريف بها وذكر حقيقتها، وتصويرها تصويرا، لا يزال العقل البشري إلى وقتنا الحاضر، يكتشف بعض جنباته. وما لم يكتشفه أعظم وأجل.

### الفرع الأول: العناصر البيئية الحية:

#### 1- البيئة النباتية في القرآن الكريم:

إن البيئة النباتية على شساعتها وتنوعها، من أشجار، وحبوب، وزروع، وخضار، وأنواع لا تحصى من النبات. كلها تطرق لها القرآن الكريم، وتحدث عنها، على أنها معجزة من معجزات الله تعالى في الأرض.

وبين وظيفتها في الحياة، وضرورتها في ضمان سيرورة الحياة على الأرض للإنسان والحيوان جميعا.

فعن منشأ هذه البيئة نجد الله تعالى يوضح لنا منشأها بقوله تعالى: ﴿**ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد، والنخل باسقات لها طلع نضيد، رزقا للعباد...**﴾[1].

فقد جاء في تفسير هاته الآيات قول سيد قطب: «ويصف الماء هنا بالبركة، ويجعله في يد الله سببا لإنبات جنات الفاكهة وحب الحصيد- وهو النبات المحصود- رزقا يسوق الله سببه، ويتولى نبته، ويطلع ثمره للعباد، وهو المولى، وهم لا يدرون ولا يشكرون»[2].

فمنشأ هذه البيئة من الله سبحانه وتعالى، فهو صاحب الفضل في وجودها، وبتقديره تعالى كانت على ما هي عليه.

كما أن الله تعالى في الآيات التي تتحدث عن البيئة النباتية، نجده يذكر المؤمن بأن الماء هو العامل الأساسي في نمو النبات ووجود البيئة النباتية[3].

ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿**أولم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**﴾[4].

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر للأنواع المشكلة للبيئة النباتية، بمختلف أشكالها. فعن نعمة الخضراوات مثلا، يقول تعالى: ﴿**وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا**﴾[5]. وقال تعالى: ﴿**وأنبتنا عليه شجرة من يقطين**﴾[6].

وقد جاء ذكر لخضار بنوعها مثل: البقل، والقثاء والثوم والعدس، والبصل[7].

---

[1] سورة ق، الآيات: 9-11.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 06، ج 26، ص 3360.

[3] إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، ط 01، دار ابن كثير، دمشق- سوريا، 2001م، ص 99.

[4] سورة السجدة، الآية: 27.

[5] سورة الأنعام، الآية: 99.

[6] سورة الصافات، الآية، 146.

[7] إحسان هندي، المرجع السابق، ص 99.

حيث يقول تعالى: ﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثّائها وفومها وعدسها وبصلها**﴾[1].

كما جاء الحديث في القرآن عن بعض أنواع الفواكه، قال تعالى: ﴿**... ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه، إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون**﴾[2].

بل إن هناك سورة في القرآن سميت باسم فاكهة، وهي: سورة التين.

ومما نستشفه من خلال هذه الآيات الكريمات، ومن آيات أخرى كثيرة لم نذكرها في هذا السياق، هو أن هذه البيئة النباتية، بيئة حيوية متنوعة، ركبها الله على قانون التزاوج والازدواجية، كما هو الأمر بالنسبة للإنسان والحيوان.

فالمتأمل في البيئة كما يصفها القرآن الكريم، يعرفها ويعرف حقيقتها بل ويهتدي من خلالها لرب الخلق جل وعلا، ويقوي إيمانه به.

فالبيئة النباتية من خلال القرآن الكريم، بيئة حيوية، جميلة، نظيفة، مصانة.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 61.

[2] سورة الأنعام، الآية: 99.

## 2- البيئة الحيوانية في القرآن الكريم:

عند تقصينا للبيئة الحيوانية بتشكيلتها المتنوعة عبر سور وآيات القرآن الكريم لاحظنا أن البيئة الحيوانية لم تقل أهمية عن البيئة النباتية من حيث اهتمام القرآن بها، وذكرها إجمالا وتفصيلا.

فوجدنا آيات القرآن تعج بذكر البيئة الحيوانية، عبر بيان حقيقتها في هذا الوجود، وبيان أصل وجودها، كما نجدها قد فصلت في ذكر أنواعها وأوصافها وحتى فوائدها بالنسبة لبني الإنسان.

فمن خلال الآيات الكثيرة التي جاء ذكر البيئة الحيوانية عبرها، ذكرت أنواع لحيوانات بعينها وبأسمائها المعلومة التي علمها الله عز وجل لآدم υ ولبنيه من خلاله، مثل: الإبل، والبقر، والخيل، والحمير، والبغال، والفيل، والطير، والنمل، والنحل، والعنكبوت، وغيرها. بل إنه جاءت تسميات لسور في القرآن بأسماء بعض الحيوانات مثل: سورة البقرة، والأنعام، وسورة النحل، وسورة العنكبوت[1].

فعن منشأ هذه البيئة؛ نجد القرآن الكريم يوضح ذلك، ويفصله تفصيلا دقيقا لاشك فيه، حيث يقول تعالى: ﴿**الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوها ومنها تأكلون**﴾[2]. يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: «وخلق هذه الأنعام ابتداء آية خارقة كخلق الإنسان، فبث الحياة فيها وتركيبها وتصويرها كلها خوارق، لا يتطاول الإنسان إلى ادعائها، وتذليلها للإنسان وتسخيرها له... وهذه لا يستحق الاحترام أن يقول قائل: إنها هكذا وجدت والسلام !... ومنطق الفطرة يقر بغير هذا الجدال والمراء»[3].

---

[1] إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، ص 101.

[2] سورة غافر، الآية: 79.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد 05، ج 24، ص 3100.

كما نستشف من خلال هذه الآية، أن الله سبحانه وتعالى خلق الحيوانات جميعا على اختلافها، وبين للإنسان، وللمسلم على الخصوص، أنها على قسمين منها ما خلق له لاستعمالها كوسيلة ركوب، ومنها ما خلق له على سبيل استعمالها في مأكله ومشربه.

ونستفيد من خلالها أن الله سبحانه وتعالى، خلقها وسخرها للإنسان لأداء أمانة الاستخلاف في الأرض على أحسن حال، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرءوف رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**﴾[1].

ونجد الله تعالى يكرم هذا الحيوان، الذي خلقه وسخره للإنسان، وذلك واضح عبر آيات القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**﴾[2].

ونجد ذلك يتضح في ذكر قصة نوح عليه السلام وعقاب الله تعالى لقومه الكافرين الملحدين بالطوفان، وإنجاء المؤمنين مع نوح عليه السلام في السفينة، فقد أمر الله تعالى نوحا عليه السلام بأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، حتى تم أمر الله، وجاء أمر الله للسفينة ولنوح عليه السلام: ﴿**قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك**﴾[3].

فمن خلال هذه الآيات، نجد الله تعالى يوضح للفرد المسلم، بأن هذه الثروة الحيوانية، التي خلقها تعالى لأجله، من أجل أداء أمانة الاستخلاف وعمارة الأرض وحفظ منهج الله تعالى، وسخرها له وذللها له تذليلا، يجب عليه أن يتعامل معها بوفاق وانسجام، ويعلم أن لها حقوقا عليه لابد أن يؤديها نحوها، وأنها أمم مثله.

---

[1] سورة النحل، الآيات: 5-8.

[2] سورة الأنعام، الآية: 38.

[3] سورة هود، الآية: 48.

## الفرع الثاني: العناصر البيئية غير الحية:

### 1- البيئة الأرضية في القرآن الكريم:

ونعني هنا بالبيئة الأرضية اليابسة التي ندب عليها، وعليها نبني حياتنا، وتبني حياتها كل المخلوقات الأرضية، التي تدب على وجه الأرض. فهناك آيات كثيرة، تناولت ذكر مفهوم الأرض ومعناها، والتفصيل في بيان عناصرها، وذكر وظائفها في هذا الوجود.

وكما هو الأمر بالنسبة للبيئات السالفة، نذكر ما جاء في القرآن من بيان لأصل وجود الأرض، من هو موجدها وخالقها على هاته الصورة من الدقة والإتقان ؟.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى**﴾[1].

وفي بداية تفسير هذه الآية يقول الطاهر بن عاشور في قوله تعالى: ﴿**الذي جعل لكم الأرض مهدا**﴾، «خبر لمبتدأ محذوف، أي هو الذي جعل لكم الأرض مهادا، والضمير عائد إلى الرب المفهوم من "ربي": أي هو رب موسى»[2].

فالله سبحانه وتعالى هو خالق هذه الأرض ومنشئها على ما هي عليه من دقة وإتقان واتزان ما له نظير.

وأورد الطاهر بن عاشور، القراءتين، قراءة الجمهور "مِهادًا" بكسر الميم وألف بعد الهاء، وقراءة: عاصم والكسائي وآخرون "مَهْدًا" بفتح الميم وسكون الهاء، وذكر أن معنى القراءتين واحد فهو أي الله سبحانه وتعالى، جعل الأرض ممهودة، سهلة للسير وإقامة الحياة عليها، حيث لا نتوء فيها إلا يسيرا، ويمكن تجنبه. وأورد توضيح ذلك عبر قوله تعالى: ﴿**والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا**﴾[3-4].

---

[1] سورة طه، الآية: 53.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص 236.

[3] سورة نوح، الآيات: 19-20.

[4] محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص 236.

فهذه الأرض أو اليابسة، الممهدة الميسرة، يذكرها القرآن الكريم، على أنها رحمة ونعمة من الله لعباده. لهذا الإنسان الذي حمل أمانة الاستخلاف، فهذه هي حقيقتها، فهي ليست كتلة جامدة، أو مادة صماء وجدت هكذا، من قبيل الصدفة، كما يقول من يفسر هذا الوجود تفسيرا ماديا، إنما هي بيئة حية، مفعمة بالحياة، وهي على ما خلقها الله عليه وقدرها عليه، منبع لحياة المخلوقات جميعا بما فيها هذا الإنسان. حيث يقول تعالى: ﴿**والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون، وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين**﴾[1].

وحقيقة، يبقى العقل الإنساني القاصر، والتعريفات الوضعية الجزئية لمفهوم الأرض (اليابسة)، عاجزا أمام هذا الوصف الرباني الجليل؛ وصف الخالق لخلقه؛ فيتضح فيه من الروعة والبيان الشافي ما يغني كل باحث عن الحقيقة في هذا المجال- مجال المفهوم الحقيقي للأرض أو البيئة الأرضية- عن أن يبقى يتخبط بين أمواج المفاهيم الوضعية، إنما يتخذها مفاهيم مقربة فقط، والحقيقة يأخذها من النبع الصافي، من وحي الخالق عز وجل في بيان خلقه.

ومن العناصر الأساسية لهذه البيئة الأرضية: الجبال، فكثيرا ما ورد ذكر الجبال في آيات القرآن، وجاء من خلالها ذكر وظيفتها، وأنها آية من آيات الله في خلقه.

واجتمع مفهوم موحد للجبال من خلال ذكرها عبر آيات كثيرة، على أنها: رواسي للأرض، وأوتاد مثبتة للأرض من أن تضطرب.

قال عز وجل: ﴿**وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون**﴾[1].

---

[1] سورة الحجر، الآيات: 19-20.

[2] سورة فصلت، الآية: 10.

وحول وظيفة الجبال دائما، يتحدث أحد الباحثين عن الجبال قائلا: «وقد أثبت العلم الحديث أن توزيع اليابسة والماء على وجه الأرض، ووجود سلاسل الجبال، عليها مما يحقق استقرار الوضع الذي عليه الأرض، وهذا التوزيع الذي أساسه، الجبال دائما قصد به حفظ توازن الكرة الأرضية»[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: 31.

[2] عبد الحكيم الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، طبعة الدار المصرية اللبنانية، 1994، ص 39.

## 2- البيئة الجوية في القرآن الكريم:

وسنتناول بالدراسة السماء الدنيا، وكيف عرضها القرآن الكريم، فبين حقيقتها، وأصلها في هذا الوجود، ودورها في الحياة.

فهناك آيات جمة تذكر كيف خلقت هذه السماء الدنيا، وترجع بالإنسان المسلم عبر تصوير خلق السماء وما تحويه، إلى ربطه بخالق السماوات وموجدها على ما هي عليه من دقة وزينة وتوازن.

فعن خلق السماء يقول I: ﴿**ومن آياته خلق السماوات والأرض**﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج**﴾[2]. حيث يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: «إن هذه السماء صفحة من كتاب الكون تنطق بالحق... أفلم ينظروا إلى ما فيها من تشامخ وثبات واستقرار ؟... إن الثبات والكمال والجمال هي صفة السماء التي تناسق مع السياق هنا»[3].

ثم يذكر الله عز وجل عباده المؤمنين خصوصا ليزدادوا إيمانا، والمشركين ليتعظوا ويهتدوا إلى الحق؛ يذكرهم بعظمة خلق السماء، وبنائها، وكيف أنها مرفوعة فوقهم بغير عمد ترى. فإنما الذي خلقها على ذلك الإبداع والإتقان هو الله سبحانه وتعالى، فيقول عز وجل: ﴿**أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها**﴾[4].

وفي سياق الحديث عن إغطاش ليل السماء وإخراج ضحاها، يقول سيد قطب: «وأغطش ليلها أي أظلمه، وأخرج ضحاها أي أضاءها»[5].

---

[1] سورة الروم، الآية: 22.

[2] سورة ق، الآية: 06.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 06، ج 30، ص 3814.

[4] سورة النازعات، الآيات: 27-29.

[5] سيد قطب، المرجع السابق، مج 06، ج 30، ص 3816.

ونحن نستشف من هذا السياق أن الشمس هي عنصر هام في هذه البيئة- البيئة الجوية- إذ أنها وسيلة الإضاءة في الصباح؛ وأنها وسيلة تدخل في تركيب حياة كثير من المخلوقات وفي مقدمتها النبات. ومنه نجد تأكيدا لذلك في الآية التالية، حيث يقول تعالى: **﴿والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها...﴾**[1].

فضوء الشمس يدخل بشكل أساسي في عملية التركيب الضوئي التي يقوم بها النبات عموما، وبذلك فهي- الشمس- عنصر أساسي من عناصر البيئة الجوية.

ومن عناصر البيئة الجوية المذكورة في القرآن، نجد الرياح، التي من أبرز أدوارها التي ذكرها القرآن؛ أنها تساهم في عملية التلقيح.

ويذكر في ذلك: «أن الريح تحمل غبار الطلع، وتلقح الشجر فيثمر، وهي من يقوم بعملية التلقيح بالنسبة للسحاب، كي يترل منه المطر»[2].

قال تعالى: **﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾**[3].

وعبر تقصينا للآيات التي جاءت في ذكر الرياح، وجدنا أكثر من آية تخبرنا أن الرياح وسيلة بشرى وهي دالة على رحمة الله عز وجل.

فيقول تعالى: **﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته، حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء...﴾**[4].

ويقول عز وجل : **﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته﴾**[5].

ومن عناصر البيئة الجوية المذكورة في القرآن كذلك السحاب.

---

[1] سورة النازعات، الآيات: 30-31.

[2] إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، ص 91.

[3] سورة الحجر، الآية: 22.

[4] سورة الأعراف، الآية: 57.

[5] سورة الروم، الآية: 46.

فهو مسخر من الله تعالى من أجل غاية سامية وهي أنه يترل منه المطر، الذي هو رحمة من الله تعالى كما جاء عبر الآيات السابقة. ونجد القرآن يؤكد لنا ذلك حيث يقول تعالى: ﴿**وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض...**﴾[1].

جاء في تفسير هذه الآية عند سيد قطب قوله: «وذلك السحاب المحمول على هواء، المسخر بين السماء والأرض، الخاضع للناموس الذي أودعه الخالق هذا الوجود»[2].

ومن أبرز عناصر البيئة الجوية، المطر، ذلك الماء الذي يترل من السماء[3]. هذا المطر الناشئ من السحاب الذي تسوقه الرياح، نجد القرآن الكريم، يوضح لنا مدى الترابط الدقيق بين ثلاثية الرياح والسحاب والمطر، فيقول تعالى: ﴿**الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون**﴾[4].

ويقول عز وجل: ﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته، حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء...**﴾[5].

ويؤكد هذا التلازم بين العناصر الثلاثة، الرياح ثم السحاب ثم المطر، قول محمد المبارك: «فالرياح تسوق السحب، والسحب تتراكم، فيتقاطر الماء من تراكمها، ويهبط الماء إلى الأرض، فيسقي الزرع، أو يسلك في باطن الأرض، ثم يخرج ينابيع تسقي النبات، والنبات ينمو ثم يكبر»[6].

---

[1] سورة البقرة، الآية: 164.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 01، ج 02، ص 153.

[3] إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص 91.

[4] سورة الروم، الآية: 48.

[5] سورة الأعراف، الآية: 57.

[6] إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، ص 94، نقلا عن محمد المبارك، نظرة الإسلام العامة للوجود، المطبعة الجديدة، دمشق، 1958م، ص 12.

وماء المطر من ألزم العناصر ضرورة لكل كائن حي، من نبات وحيوان وإنسان، فهو عنصر الحياة، مصداق قوله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾[1].

ومن أهم ميزات هذا المطر أنه عذب، وهو من معجزات الله في خلقه، حيث إن هذا الماء الذي يخرج من تكاثف السحاب، الذي بدوره كان عبارة عن بخار نتج عن تعرض مياه البحار والمحيطات للحرارة، فساقته الرياح بأمر الله، وارتفع إلى السماء فتكاثف وثقل فيخرج منه الماء بإذن الله تعالى، فيترل ماء عذبا فراتا صالحا للشرب والاستعمال؛ فهي رحمة من الله تعالى لخلقه كي تستمر الحياة، ولو شاء لجعله من أصل ما تكون منه، إذ يترل من السحاب ماء مالحا على شاكلة السحب التي تكونت من بخار البحار والمحيطات، وفي معرض بيان رحمته تعالى على خلقه جميعا، يقول عز وجل:

﴿**وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا**﴾[2].

ويقول في آية أخرى: ﴿**لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون**﴾[3].

ويذكر الله عز وجل عباده بأن هذا الماء هو نعمة من الله تعالى ورحمة منه عز وجل للخلائق جميعا وبه تقوم الحياة وتدب على هذه الأرض حيث يقول مبينا أدوار الماء في هذه الحياة: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء طهورا، لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا**﴾[4].

ويقول عز وجل: ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**﴾[5]. وفي تفسير هذه الآية يقول وهبة الزحيلي: «أي إن الذي خلق السماوات والأرض والإنسان والأنعام والدواب، هو الذي هيأ ظروف الحياة للإنسان بإنزال

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: 30.

[2] سورة المرسلات، الآية: 27.

[3] سورة الواقعة، الآية: 70.

[4] سورة الفرقان، الآيات: 48-49.

[5] سورة النحل، الآيات: 10-11.

المطر من السماء، فجعله عذبا زلالا يسوغ لكم شرابه وأخرج به شجرا ترعون فيه أنعاكم، وأنبت به زرعا وزيتونا ونخيلا وأعنابا، ومن كل الثمرات على اختلاف أصنافها وألوانها وطعومها، والمراد بالشجر هنا: النبات مطلقا، كما نقل عن الزجاج»[1].

ونجد الله I، يبين لنا أن ماء المطر هذا، إنما أنزله بقدر معلوم فلابد علينا أن لا نسرف فيه وأن لا نضيعه وأن لا نفسد فيه، فينعكس ذلك على حياتنا ويجب علينا نحن العباد أن نواجه رحمة الله بالشكر وحفظ هذه النعمة، وأن لا نطغى ونتجبر ونفسد في الأرض. لأن الذي أنعم علينا بماء المطر، قادر على أن يذهب به، فيذيقنا بأس ما كسبت أيدينا حيث يقول تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض، وإنا على ذهاب به لقادرون**﴾[2]. فمن خلال هذه الآية، نستشف دعوة صريحة للحفاظ على هذه البيئة الجوية وكذلك المائية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 14، ط 01، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، 1991م، ص 98.
[2] سورة المؤمنون، الآية: 18.

### 3- البيئة المائية في القرآن الكريم:

يقول عز وجل : ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمنون**﴾[1].

فمنطوق الآية يوضح لنا أن الماء هو المكون الهام لحياة الكائنات جميعا؛ نباتا وحيوانا وإنسانا، وفي هذا الصدد يورد أحد الباحثين تفسيرا لهذه الآية، يقول: «فقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادتها، وهي وحدة البناء في تركيب الكائن الحي نباتا كان أو حيوانا»[2].

كما نستشف من الآية، أن أصل وجود هذه البيئة المائية هو الله عز وجل ، فهي مع البيئات الأخرى، في حالة انسجام وتوافق وتلاحم من أجل تحقيق الحياة على هذه المعمورة. وقد وجدت من أجل أداء دور الاستخلاف في هذه الأرض من طرف الإنسان.

والبيئة المائية في القرآن، بيئة متنوعة العناصر، من ماء المطر، إلى ماء المحيطات والبحار، إلى ماء الأنهار، إلى مياه الينابيع والآبار، إلى المياه الجوفية. فهي بحق بيئة متنوعة، متناسقة منسجمة، ترسم لنا لوحة حية، تدل على قدرة الخالق جل وعلا وبديع صنعه.

وقد تطرقنا في البيئة الجوية إلى بيان مياه الأمطار.

وأما عن مياه البحار والمحيطات، فنجد القرآن الكريم يفصل في ذلك ويوضح لنا التنوع الباهر فيها، فعن مياه البحار يذكر لنا أنها تختلف فهناك مياه عذبة وهناك مياه مالحة، حيث يقول سبحانه: ﴿**وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج**﴾[3].

والبحار والمحيطات على شساعة المساحة التي تحويها، لها دور المحافظة على التوازن البيئي إذ أنها مصدر تكون السحاب عبر بخار مياهها؛ ومنه مياه الأمطار، ومنها تزود الأرض بنسبة كبيرة من الأكسجين الذي هو ضروري لاستمرار حياة الكثير من المخلوقات وعلى رأسها الإنسان، وفي هذا الصدد يورد لنا سيد قطب كلام أحد الباحثين الغربيين: «وعلى

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: 30.

[2] عبد الحكيم الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، مرجع سابق، ص 116.

[3] سورة فاطر، الآية: 12.

الرغم من الانبعاثات الغازية من الأرض طول الدهور- ومعظمها سام- فإن الهواء باق دون تلويث في الواقع، ودون تغيير في نسبته المتوازنة اللازمة لوجود الإنسان، وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة الفسيحة من الماء- أي المحيط- الذي استمدت منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل، والنباتات، وأخيرا الإنسان نفسه»[1].

وقد جاء عبر القرآن الكريم، في ذكر هذا الجزء الهام من البيئة المائية- البحار والمحيطات- ذكر لمنافعها العديدة التي يستفيد الإنسان وسائر المخلوقات منها، ومن ذلك ما يوضحه قوله تعالى: ﴿**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا**﴾[2].

فمنه سخر الله عز وجل ثروة هائلة من الأسماك كمصدر آخر لطعام الإنسان، وهي غذاء أيضا لمخلوقات أخرى عديدة.

كما نجد البحار، عبر التعبير القرآني، موطن غني بالحلي التي ينتفع منها الإنسان أيما انتفاع عبر ثروتها الهائلة باللؤلؤ والمرجان، حيث يقول تعالى: ﴿**وتستخرجوا منه حلية تلبسونها**﴾[3].

ومن نعم الله أن سخر الفلك للإنسان ليقطع بها البحار والمحيطات، فتجري فيها برحمة الله وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿**ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله**﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿**ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله، إنه كان بكم رحيما**﴾[5]. هذا وإن للبحار منافع أخرى كثيرة.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج 05، ج 22، ص 2934، نقلا عن كتاب: الإنسان لا يقوم وحده، تأليف: كريمي موريسون- رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك، ترجمة: محمود صالح الفلكي بعنوان: العلم يدعو إلى الإيمان.

[2] سورة النحل، الآية: 14.

[3] سورة النحل، الآية: 14.

[4] سورة لقمان، الآية: 31.

[5] سورة الإسراء، الآية: 66.

ومن عناصر البيئة المائية المذكورة في القرآن، نجد الأنهار، هذه الكتل المائية الهائلة، المنتشرة في أرجاء الأرض كما جاء في قوله تعالى: ﴿**أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا**﴾[1].

والأنهار مثل البحار والمحيطات مسخرة للإنسان، لأداء أمانة الاستخلاف على أكمل وجه، قال تعالى: ﴿**وسخر لكم الأنهار**﴾[2].

ومنافعها شبيهة بمنافع البحار والمحيطات، ففيها أنواع هائلة من الأسماك، وكذلك بها اللؤلؤ الذي ينتفع به الإنسان كحلي يلبسه، وينتقل عبرها بالفلك، ويستعمل مياهها في حياته اليومية وعلى رأسها مشربه لأنها مياه عذبة سائغة للشرب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] سورة النمل، الآية: 61.

[2] سورة إبراهيم، الآية: 32.

## المطلب الرابع: مقارنة بين مفهومي البيئة الإسلامي والوضعي:

قبل الشروع في المقارنة بين المفهوم الوضعي للبيئة والمفهوم الإسلامي لها، نحاول استعراض بعض المفاهيم الحديثة لها. فلقد عرفت البيئة كمصطلح تعريفات عديدة نذكر منها:

* البيئة هي: «مجموعة الظروف والعوامل الفيزيائية والعضوية، وغير العضوية التي تساعد الإنسان والكائنات الأخرى على البقاء ودوام الحياة»[1].

* البيئة هي: «مجموعة العوامل الحيوية وغير الحيوية، التي تؤثر بالفعل على الكائن الحي، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في أي فترة من فترات حياته.

ويقصد بالعوامل الحيوية: جميع الكائنات الحية (المرئية وغير المرئية)، الموجودة في الأوساط البيئية المختلفة. والعوامل غير الحيوية هي: الماء والهواء والتربة والشمس والحرارة وغيرها»[2].

* البيئة هي: «الوسط أو المجال الكافي الذي يعيش فيه الإنسان، فيتأثر به ويؤثر فيه»[3].

وعلى الرغم من أهمية هذه التعريفات وصحتها إلا أنها مقارنة بالمفهوم الإسلامي للبيئة؛ نلاحظ أنها افتقدت جوانب عدة.

لذلك ندرك أن المفهوم الإسلامي كان يتسم بالعمق والشمول، واتساع أبعاده.

وذلك على الرغم من السبق الزمني، أكثر من أربعة عشر قرنا.

فمن الجوانب التي افتقدتها المفاهيم الوضعية للبيئة، واتسم بها المفهوم الإسلامي، نذكر ما يلي:

---

[1] أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة، دراسة في الأنظمة الوطنية، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م، ص 11.

[2] علي زين العابدين، تلوث البيئة ممن للمدنية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1991م، ص 11.

[3] زين الدين عبد المقصود، البيئة والإنسان علاقات ومشكلات، المعارف، الإسكندرية، 1981، ص 07.

* إهمال التعريفات الوضعية، لجوانب الحفاظ على البيئة وحمايتها.

* عدم ورود أسلوب التعامل الرشيد مع البيئة ضمن التعريفات الوضعية لها.

* النظر للبيئة باعتبارها مجموعة العوامل الفيزيائية والعضوية وغير العضوية، التي تربطها علاقة سببية جزئية، وإهمال الجانب الأساسي، وهو النظر لها بعلاقة مع السنن الإلهية الكونية التي تحكم هذه العلاقة، ومدى خطورة الخروج عليها، كما نستشفه من المفهوم الإسلامي للبيئة.

* التعامل مع البيئة في إطار مجرد عن البعد الزمني والتاريخي، وبالتالي البيئة حسب التعريفات الوضعية عبارة عن واقع موجود دون جذور، أو ليس له تاريخ، وكأنها وجدت كما هي عليه من فساد، فالجانب الزمني والتاريخي للبيئة (الأرض) يعطي جزءا كبيرا من جانب العبرة والعظة، بين ما كانت عليه البيئة وما آلت إليه، ونجد الآيات القرآنية حافلة بذكر ذلك عبر ذكرها لحقيقة البيئة وجوهرها.

* البيئة في إطار المفهوم الإسلامي، بيئة جمالية تتسم بالروعة والإبداع الدال على عظمة الخالق عز وجل، وجميل صنعه، كما أنها في أصلها وطبيعتها بيئة نظيفة خالية من التلوث.

* العرض القرآني لمظاهر البيئة الحية وغير الحية، يفوق جمالا وروعة العرض البشري الذي ينظر للبيئة تلك النظرة الجافة من نفس غارقة في البلادة والغفلة[1].

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 08، ط 12، ص 1297.

## المبحث الثاني: تجلي أصول العقيدة الإسلامية في البيئة من خلال القرآن والسنة

إن الدراسات البيئية كثيرة ومتنوعة، ونكاد نجد جل العلوم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة؛ بل إن منطلقها ومحاورها هي البيئة في حد ذاتها.

فنجد أن البيئة درست من مختلف الاختصاصات: الطبية، والفيزيائية، والجيولوجية، ومن الجانب الجمالي الفني، وحتى من الناحية الأدبية نجدها ارتبطت بالبيئة وعناصرها.

لكننا إذا نظرنا إلى هذه الدراسات الكثيرة وإلى هذا الاهتمام الواضح بالبيئة وعناصرها؛ وجدنا هذه الدراسات، وهذا الاهتمام مرتبط بالجانب المادي للبيئة لا يتجاوزه. بينما الجانب الهام من البيئة وهو الجانب الروحي، والذي هو حقيقة البيئة وجوهرها نجده مهملا.

ولكم يزداد همنا، حينما نرى بعض العلماء المسلمين خاصة علماء الأحياء، في دراستهم للبيئة، ساعين وراء التقليد الأعمى للغرب في هذا المجال، مجال الدراسات البيئية، متنكرين بذلك لعقيدتهم، التي هي العقيدة الوحيدة في الوجود، التي بينت حقيقة البيئة بشقيها الحي وغير الحي، وأوضحت تمام الإيضاح جوهر البيئة وحقيقتها، فقد جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة يبينان البعد العقدي للبيئة، فلا نكاد نجد فيهما ذكرا للبيئة، مجملا أم مفصلا، إلا وكان المعنى العقدي حاضرا فيه متجل من خلاله، مما يبين لنا أن البعد العقدي في حقيقة البيئة- كما تقررها التعاليم الإسلامية- هو عنصر أساسي فيها مثل العنصر المادي وأكثر؛ وليس مجرد معنى عارض من معانيها.

قال تعالى: ﴿**إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون**﴾[1].

[1] سورة الجاثية، الآيات: 3-5.

فهذه المشاهدة البيئية، إنما عرضت في كمها وكيفها، عرضا يجمع في تقرير حقيقتها، بين ظاهرها المادي وبين بعدها العقدي؛ المتمثل في شهادتها على وجود الله تعالى ووحدانيته، ويكاد يطرد هذا الأمر في كل ما ذكر من مشاهد البيئة في القرآن الكريم والسنة المطهرة[1].

وما سنوضحه من خلال هذا المبحث هو تجلي أصول العقيدة الإسلامية في البيئة عبر ما ذكره القرآن والحديث الشريف، بالتطرق لبعض الآيات وبعض الأحاديث في هذا المجال، وسنقتصر على أصلين هامين من أصول العقيدة الإسلامية، وهما: الله عز وجل، واليوم الآخر.

فندرس عبودية البيئة لله تعالى عبر شهادتها بوجود الله تعالى وشهادتها بصفاته ووحدانيته، كما ندرس شهادة البيئة بوقوع اليوم الآخر لا محالة.

[1] عبد المجيد النجار، قضايا البيئة من منظور إسلامي، ط 01، مركز الدراسات والبحوث، الدوحة- قطر، 1999م، ص 87.

## المطلب الأول: عبودية البيئة لله تعالى:

من خلال بعض الآيات التي تقصينا ذكر البيئة وعناصرها عبرها، لا نكاد نمر بآية إلا والتذكير بالألوهية واضح فيه، بل إن الألوهية بعنصريها: وجود الله الصفات الإلهية، موضحة في القرآن الكريم بأكبر نسبة من خلال استعراضها في ضوء البيئة وعناصرها.

### الفرع الأول: شهادة البيئة بوجود الله تعالى:

إن التصور الإسلامي للبيئة من خلال القرآن والسنة والشريفة، يؤكد الشهادة الكاملة للبيئة بالوجود الإلهي، ويثبت الارتباط الوثيق بينهما.

فما أن تذكر البيئة بعناصرها إلا ويذكر معها وجود الله تعالى وملكه وخلقه لها، فشهادة البيئة بالوجود الإلهي هي شهادة المعلول دائما بعلته؛ فلا تذكر إلا ويذكر وجود الله معها، ولا ينظر إليها إلا وتذكر حتما بوجود الله عز وجل.

وسنبين من خلال الآيات القرآنية، الدقة الفائقة في عرض البيئة وشهادتها بالوجود الإلهي، قال تعالى: ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم**﴾[1].

حيث يقول وهبة الزحيلي في تفسيره لهذه الآية: «مكن الله تعالى للإنسان الحياة في الأرض بإظلاله بالسقف المحفوظ وهو السماوات السبع التي رفعها بقدرته... والله عالم بكل ما خلق في الأرض وفي السماء، وذلك كله دليل القدرة الباهرة الدالة على وجود الإله الخالق، فهل بعد هذا يسوغ الكفر أو الإلحاد إنكار وجود الله تعالى»[2].

وقوله تعالى- في مطلع سورة الأنعام-: ﴿**الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**﴾[3].

---

[1] سورة البقرة، الآية: 29.

[2] وهبة الزحيلي، التفسير المنير، مرجع سابق، ج 01، ط 01، دار الفكر المعاصر، ص 118-119.

[3] سورة الأنعام، الآية: 01.

فالله تعالى هو خالق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وخالق الليل والنهار، والشمس والقمر.

ويقول عز وجل: ﴿**إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾[1].

وهناك كلام طيب حول أول الآية الكريمة، لسيد قطب في كتابه "الظلال" حيث يقول: «إن الله الذي يدبر أمره ويصرفه بقدره، يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا، في هذه الدورة الدائبة، دورة الليل يطلب النهار في هذا الفلك الدوار أو الذي جعل الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره... إن الله الخالق المهيمن المصرف المدبر»[2].

ففي عرض القرآن لظاهرة تعاقب الليل والنهار، يحاول أن يقربها لنا في بعدها الروحي العقدي، فيجعلها حية، وتتحرك حركة حيوية، ليبين خضوعها للخالق عز وجل، خلقا وتدبيرا، وكفا في توضيحه لتسخير الشمس والقمر والنجوم.

وحينما يأخذ الفرد المسلم هذه الصورة ببعدها العقدي من القرآن والسنة، يستفيد منها شيئين اثنين هما:

* الدلالة على وجود الخالق المصور المبدع.
* أن أي إنسان يطلع على هذه الصورة بتعبير رب الخلق عز وجل ، فحتما سيعي حقيقة البيئة التي يعيش فيها ويحيى عليها.

وبهذه الصورة يصبح الإنسان في وفاق مع البيئة، لا في صراع معها.

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 54.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 08، ص 1297.

وقد كان علماؤنا الأوائل في مناظراتهم مع الملحدين والقائلين بالصدفة في خلق الموجودات من البيئة وعناصرها؛ يستخدمون البيئة ومدى دقة تسييرها في إثبات وجود الخالق عز وجل.

فمما يؤثر عن الإمام أبي حنيفة، أنه حينما أراد أن يستشير قومه ويلفت نظرهم؛ لا إلى الكون وما فيه فحسب، بل إلى رب الكون وخالق كل شيء. فوعظهم يوما وقد حضره جمع من غلاظ القلوب، وكانت عظة عقلية موفقة، فقال للناس: إني مفكر في شيء خطير، فسأله الناس عن هذا الشيء ؟ فقال: إني مفكر في أمر قد أخبرت عنه. ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة بأنواع المتاجر، وليس بها أحد يحركها أو يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجيء، وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام، حتى تتخلص منها، وتدخل المرافئ وتخرج منها، وتسير حيث تشاء، فلا تتجه إلا إلى ما هو مطلوب منها من غير أن يسوقها أحد، فقال الناس له: هذا شيء لا يصح أن تشغل به نفسك، لأنه لا يقوله عاقل ولا يصدقه أحد.

فقال: أيها الناس ؟ إنكم أنتم الذين تقولون هذا الكلام ! تقولونه بلسان الحال إن لم يكن بلسان المقال، فهذه سفينة الموجودات بما فيها من العوالم العلوية والسفلية وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة، فهلا تأملتم عجائبها وحكمة المصرف لها، فهل تغدو وتروح بغير مدبر يصرفها ؟ فخشعت قلوب الناس لموعظته، وأسلم منهم من كان على غير الإسلام.

وكذلك فعل يوما الإمام الشافعي- رحمه الله- إذ وعظ الناس فقال: «هذا ورق التوت لونه واحد، وطعمه واحد، يأكله الدود فيخرج منه الحرير، ويأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر فتلقيه بعرا أو روثا، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك، وهو شيء واحد، فتبارك الله أحسن الخالقين»[1].

والآيات القرآنية كثيرة، تذكر لنا أن المشركين والمنكرين للرسالات ذاتهم، كانوا يشهدون بوجود الله، وأن للكون رب مدبر مسير له.

---

[1] جمعة أمين، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، ط 02، دار الدعوة للطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر، 1992م، ص 162.

قال تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**﴾[1].

وكان جواب المشركين دائما على هذه الشاكلة، وبهذه الصيغة، لذلك فقد كانوا يؤمنون بالربوبية، بأن لهذه البيئة وعناصرها إله خالق مسير ومدبر.

ولنا في رسول الله وخليله إبراهيم- عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- الحجة البالغة، والأسوة الحسنة، حينما جلب اهتمامه بعض الآيات الكونية من نجوم وكواكب وقمر وشمس، وكان أهله وقومه أهل جاهلية وشرك يعبدون الأصنام، فأراد أن يتخذ من الآيات الكونية إلها، لكن كانت الحجة البالغة بنداء الفطرة وقوة التفكر والتدبر، فكان كلما قال عن آية كونية أنها الله، لا تلبث أن تأفل بانقضاء وقتها، إلى أن تأكد إبراهيم U أن ما خلق هؤلاء جميعا من سماوات وأرض وما فيهما وما بينهما إلا رب الخلق أجمعين، فوجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما كان من المشركين.

قال تعالى: ﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لإن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**﴾[2].

وكذا قصة إبراهيم عليه وسلم مع عدو الله، حينما أراد أن يثبت له وجود الله ووحدانيته، فقال له إبراهيم عليه وسلم: «إن الله يحيي ويميت»، فرد عليه بأنه هو كذلك؛ وأتى برجلين أمر بقتل أحدهما وأطلق سراح الآخر وقال: «أنا أحيي وأميت» فأجابه إبراهيم عليه وسلم جوابا آخر أفحمه، على الرغم من أنه كان يقدر على أن يشرح له بأن إحياء

---

[1] سورة الزخرف، الآية: 09.

[2] سورة الأنعام، الآيات: 75-79.

الله للموتى وإماتة الأحياء ليست كما يتصور، ولكن إبراهيم عليه السلام انتقل إلى حجة أعظم وأبلغ.

فقال بأن الله هو الذي يأتي بالشمس من المشرق، وطلب من الطاغية أن يأتي بها من المغرب، فبهت الذي كفر، قال تعالى: ﴿**ألم ترى إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾[1].

ومن الأدلة الواضحة من خلال البيئة وعناصرها على وجود الله تعالى هي هذه الأرض وسيرورتها الدقيقة الثابتة التي لا تطؤها الغفلة ولا النسيان ولا النقصان ولا الزيادة.

فلو تأملنا الهواء الذي نستنشقه لوجدناه يتركب من غازات عديدة: من أكسجين، وثاني أكسيد الكربون، وغازات أخرى، وإذا ما قسنا هذه الغازات المكونة للغلاف الجوي لوجدنا الأكسجين بنسبة ثابتة وكذا ثاني أكسيد الكربون، ونجد الغازات الباقية الضارة متوفرة بنسبة ضئيلة جدا تكاد تنعدم، فمن المتحكم في ذلك يا ترى ؟.

إنه الله سبحانه وتعالى، فلو كان من غير الله، أو كان محض الصدفة لاختلت النسب، ولما بقيت الحياة على ما هي عليه.

فلو زادت نسبة الأكسجين عن النسبة الحالية الموجودة لاستحالت الحياة على الأرض ولو قل لاستحالت كذلك.

وكذلك مع ثاني أكسيد الكربون وباقي الغازات؛ فالحمد لله أنها ثابتة لتبقى الحياة، فالله هو المسير لها وهو المدبر لها بحكمته وعلمه سبحانه.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 258.

وكيف أن هذه الغازات لا تتحد ببعضها البعض، بل تبقى كما هي، وأنها لو اتحدت بعضها ببعض، لأدت بعضها إلى انفجارات هائلة أزالت الحياة على وجه المعمورة، ولكنها لا تحدث ولن تحدث إلا بمشيئة الخالق عز وجل .

فكل ما في هذه المعمورة ينبئك بوجود حكمة عالية وإدارة سامية وسيطرة قوية، ونواميس في غاية الدقة والإحكام، يسير عليها هذا الوجود، ورب هذه الحكمة وصاحب هذه العظمة وواضع هذه النواميس هو الله تعالى.

وفي هذا الصدد، في إثبات الخلق لله تعالى، يقول محمد متولي الشعراوي: «قضية الخلق محسومة لله عز وجل ... لأنه تعالى وحده الذي قال أنه خلق، فالله هو الخالق بلا جدال حتى أن الكفار أنفسهم لم يجادلوا في هذه القضية بل آمنوا بأن الله هو خالق كل شيء»[1].

قال تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله**﴾[3].

إن الحياة الحيوانية والنباتية على وجه الأرض، من أظهر البراهين على وجود الله تعالى، حيث إن الحي لا يتولد إلا من حي، وبهذا يستدل على نفي التولد الذاتي- الذي هو زعم تولد الحي من المادة- وذلك لأن المادة خالية من الحياة ساكنة خاضعة للنظام الذي وضعه لها خالقها، ويستحيل أن تولد حياة في ذاتها أو غيرها[4].

---

[1] محمد متولي الشعراوي، الأدلة المادية على وجود الله، د.ط، شركة الشهاب، الجزائر، 1990م، ص 11.

[2] سورة العنكبوت، الآية: 61.

[3] سورة العنكبوت، الآية: 63.

[4] جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، ضبط وتعليق: عبد الرحمن العك، ط 01، دار النفائس، بيروت- لبنان، 1991م، ص 234-235.

وفي ذلك يقول رسل تشارلز آرنست[1]: «لقد وضعت نظريات عديدة، لكي تفسر لنا كيف نشأت الحياة من عالم الجمادات، فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من "البروتوجين" أو من "الفيروس" أو من تجمع بعض الجزيئات البروتينية الكبيرة، وقد يخيل إلى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التي تفصل بين عالم الأحياء وعالم الجمادات، ولكن الواقع الذي ينبغي أن نسلم به، هو أن جميع الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية، قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها، وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته، شهادة تقوم على الفكر والمنطق، ولذلك فإنني أؤمن بوجود الله إيمانا راسخا»[2].

فحقا كما قال الشاعر:

أدلة في وجود الحق ظاهـــرة  راحت لها شبه الإلحاد منكسره

الحق يعلو ولا يعلى عليه فمن  ناوأه كانت جنود الله منتصره

وكما يقول جمال الدين القاسمي: «كلما ازداد المرء علما بالفنون الكونية، ورسخت قدمه في العلوم الطبيعية، ازداد بموجد الكون معرفة وبالآيات الدالة عليه بصيرة، وكلما قلت معارفه ابتعد عن الخالق بنسبتها وهكذا.... كلما راجت أسواق العلوم، وتبينت أسبابها، كان الاعتقاد بوجود الله أشد وأقوى»[3].

---

[1] أخصائي علم الأحياء والنباتات، أستاذ في جامعة فرانكفورت بألمانيا، عضو الأكاديمية العلمية بإنديانا، مؤلف لكثير من البحوث البيولوجية.

[2] جون كلوفرمو، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: عبد المجيد سرحان الدمرداش، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط 04، القاهرة- مصر، 1986م، ص 99-100.

[3] جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، مرجع سابق، ص 05.

ولقد أقام فيه مطلبا أسماه "الأدلة الواضحة على وجوده تعالى"، قدم فيه خمسة وعشرين دليلا، مفصلا بالبراهين والأدلة الكونية، وللاستزادة أكثر انظر كتابه: دلائل التوحيد، المطلب الأول، ص 191-274.

## الفرع الثاني: شهادة البيئة بصفات الله تعالى:

كما وضحنا شهادة البيئة بالوجود الإلهي، نلاحظ كذلك أن السياقات القرآنية المختلفة التي جاءت تعرض البيئة وعناصرها، كانت تتجلى بشهادة البيئة بالصفات الإلهية، شهادة البيئة بصفات خالقها، فكما أن الصناعة تدل على صفات الصانع، ولله المثل الأعلى، فالبيئة والخلق جميعا يدل ويشهد بصفات الخالق عز وجل.

وقد أردنا أن نوضح شهادة البيئة بصفات الله تعالى واخترنا في ذلك أربع صفات لله تعالى، وهي: صفة الوحدانية، وصفة العلم، وصفة القدرة، وصفة الرحمة.

### 1- صفة الوحدانية:

بعدما أوضحنا أن البيئة وعناصرها، من خلال القرآن الكريم، شاهدة بوجود الله تعالى شهادة واضحة لا يمازجها شك ولا ريب.

وبعدما أوردناه من آي القرآن التي توضح ذلك كان عبر هذه الآيات وآيات أخرى كثيرة إثبات وشهادة بالألوهية، وصفات الله تعالى ومنها وحدانيته تعالى.

ففي عرض القرآن والسنة للبيئة وعناصرها، دلالة صريحة على شهادة البيئة بالوحدانية للخالق عز وجل. بل هي أكبر شاهد مادي على ذلك، لمن أنكر الألوهية وأنكر الوحدانية لله تعالى.

فصدق الشاعر إذ يقول:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة ... وتسكينة أبدا شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

نعم ففي كل شيء من الخلق له عز وجل ، شاهد عظيم بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد، فالبيئة وعناصرها الحية وغير الحية، كلها آيات بينات للذين آمنوا والناس أجمعين على وحدانية خالقها.

يقول تعالى: ﴿**وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون، سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون، وآية لهم أنا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين**﴾[1].

وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش».

إن هذه الآيات الكونية كلها حياة يحياها الناس صباح مساء، ولكنهم لكثرة ألفهم لها انعدم إحساسهم بها.

وفي شرح بعض هذه الآيات، يقول سيد قطب: «والحياة معجزة لا تملك يد البشر أن تجريها، إنها يد الله التي تجري المعجزات، وتثبت الحياة في الموات، وإن رؤية المزرع النامي والجنان الوارفة والثمر اليانع، لتفتح العين والقلب على يد الله المبدعة، وهي تشق التربة عن النبتة المتطلعة للحرية والنور، وينضر العود المستشرق للشمس والضياء، وتزين الغصن اللدن بالورق والثمار، وتفتح الزهرة، وتنضج الثمرة، وتهيؤها للجني والقطاف»[2].

أليس ذلك كله جدير بالاعتراف بوحدانية الخالق عز وجل ؟، يقول تعالى: ﴿**قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، آلله خير أم ما تشركون، أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، أإله مع الله بل هم قوم يعدلون، أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها**

---

[1] سورة يس، الآيات: 33-44.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 05، ص 2969.

**أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله، بل أكثرهم لا يعلمون، أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله، قليلا ما تذكرون، أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله، تعالى الله عما يشركون، أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض، أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾**[1].

يقول وهبة الزحيلي: «ثم انتقل من التوبيخ والتبكيت إجمالا إلى الرد المفصل على عبدة الأوثان ببيان الأدلة على أنه تعالى إله واحد لا شريك له، قادر على كل شيء لأنه الخالق لأصول النعم وفروعها، فكيف تصح عبادة ما لا منفعة منه أصلا»[2].

فالبيئة وعناصرها، من أرض وسماء، وشمس وقمر، كله يشهد بوحدانية الله، وأن الله تعالى وحده الخالق المسير للحياة والخلق أجمعين، وبالتالي فمن ينحرف عن هذا الطريق ويسلك طريق الشرك والإلحاد فهم حتما كما وصفهم تعالى: ﴿**بل هم قوم يعدلون**﴾ أي أنهم يعاندون وينحرفون عن طريق الحق.

ثم يضيف تعالى بعد ذلك فيبين للناس جميعا وللمؤمنين خاصة، أنه تعالى هو الذي جعل الأرض قرارا، وشق خلالها أنهارا، وثبتها بالجبال الرواسي، وجعل بين البحرين حاجزا، وأنه من يشرك بعد هذا الذكر والتوضيح مع الله أحدا في ذلك فهو إذن لا يعلم.

ثم يعود عز وجل ، ليذكرهم عسى أن يتذكروا أو يهتدوا، فيخبرهم تعالى أنه هو وحده مجيب المضطر إذا دعاه، وأنه تعالى وحده الذي يهدي الناس في ظلمات البر والبحر بالقمر والنجوم، والذي يرسل الرياح فتنقل معها سحابا، فيحيي به بلادا ميتة ويرزقهم.

ولكن إذا لم تهتدوا بعد هذه البراهين والحجج التي تروها في حياتكم بأبصاركم ليل نهار، فإذا عدلتم عن ذلك، وأحببتم العمى عن الهدى والبصيرة، فإنكم إذن مشركون و ﴿**تعالى الله عما يشركون**﴾.

---

[1] سورة النمل، الآيات: 59-64.

[2] وهبة الزحيلي، التفسير المنير، مرجع سابق، ج 20، ص 11.

وقال تعالى: ﴿**وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾[1].

«أي وكيف يكون لله خاص ؟ له تعالى جميع من في السماوات والأرض، وكيف تتنكرون لطاعته ؟ وله تعالى جميع المخلوقات ملكا وخلقا وعبيدا الكل طائعون خاضعون له، دأبهم الطاعة ليلا ونهارا»[2].

وقال عز وجل: ﴿**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون**﴾[3].

أي لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله لخربتا وفسد نظامهما، وبناء عليه يكون جميع ما في هذا العالم العلوي والسفلي من المخلوقات، دليل وحدانية الخالق عز وجل. لذلك قال عز وجل: ﴿**فسبحان الله رب العرش عما يصفون**﴾، أي: تتره الله تعالى عما يصفون، وعن الذي يفترون ويقولون إن له ولدا أو شريكا، وتعالى عما يأفكون علوا كبيرا، فهو رب العرش المحيط بهذا الكون[4].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿**ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون**﴾[5].

ويقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾: «فالكون قائم على الناموس الواحد الذي يربط بين أجزائه جميعا وينسق بين أجزائه جميعا، هذا الناموس الواحد من صنع إرادة واحدة لإله واحد، فلو تعددت الذوات لتعددت الإرادات ولتعددت النواميس، فالإرادة مظهر الذات المريدة، والناموس مظهر الإرادة النافذة،

---

[1] سورة الأنبياء، الآيات: 19-20.

[2] وهبة الزحيلي، التفسير المنير، مرجع سابق، ج 17، ص 28.

[3] سورة الأنبياء، الآيات: 21-22.

[4] وهيبة الزحيلي، التفسير المنير، مرجع سابق، ج 17، ص 34-35.

[5] سورة المؤمنون، الآية: 91.

ولانعدمت الوحدة التي تنسق الجهاز الكوني كله، هذا التناسق الملحوظ، الذي لا ينكره أشد الملحدين، لأنه واقع محسوس»[1].

ومن الآيات الكونية الدالة على وحدانية الخالق عز وجل، حركة الشمس حيث يقول تعالى: ﴿**وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون**﴾[2].

فثبت علميا أن الشمس، هذا العنصر الهام من عناصر البيئة، لها نور يخصها بذاتها، وزمنا وحركة وسيرا خاصا بها.

ومن الأمور الواضحة الدلالة على وحدانية الخالق عز وجل "قانون الازدواجية"، يقول تعالى: ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾[4].

هنا عز وجل ، يوضح لنا أن الخلق مبني على نظام الازدواجية التي تدل على وحدانية الخالق عز وجل .

فإذا نظرنا إلى عناصر البيئة غير الحية، نجدها تسير وفق الازدواجية، فالليل يعرف بالنهار وهكذا والذرة تتركب من نواة موجبة وحولها إلكترونات ذات شحنة سالبة، فهي بمجملها متعادلة.

وحتى النبات، فهو مبني في سيرورة حياته على نظام الازدواجية، فهناك نبتة ذكر، وهناك نبتة أنثى، وقد ثبت علميا أن النباتات التي تحمل عددا فرديا في الصبغيات تكون عقيمة وغير متوازنة، بينما النباتات التي تحمل عددا زوجيا في صبغياتها تتصف بالتوازن والإخصاب.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج 04، ج 16، ص 2373.

[2] سورة الأنبياء، الآية: 33.

[3] سورة يس، الآية: 36.

[4] سورة الذاريات، الآية: 49.

*** بطلان الحلول والاتحاد بشهادة البيئة نفسها:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: «حقيقة مذهب الاتحادية الذي يؤول إليه كلامهم ويصرحون به في مواضع، أن الحقائق تتبع العقائد، وهذا أحد أقوال السوفسطائية، وهم يقولون سر حيث شئت فإن الله ثم، وقل ما شئت فيه فإن الواسع الله، ومضمون هذا الأصل الفاسد أن كل إنسان يقول ما شاء، ويعتقد ما شاء، من غير تمييز بين حق وباطل وصادق وكاذب، وأنه لا ينكر في الوجود شيء، وهكذا يقولون... فما عندهم أمر ولا نهي، كما قال إمامهم:

ما الأمر إلا نسق واحـــد ما فيه من حمـــد ولا ذم

وإنما العادة قد خصصت والطبع والشارع بالحكم

وحينئذ فما يبقى للأقوال والأفعال إلا مجرد القدرة، ولهذا هم يمشون مع الكون دائما فأي شيء وجدوا، كان عندهم حقا، فالحلال ما وجدته وحل بيدك والحرام ما حرمته ، والحق ما قلته كائنا ما كان، والباطل ما لم يقله أحد، وهؤلاء شيء من الإباحية والملاحدة، الذين يجرون مع محض القدر، فإن أولئك يعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب، وهؤلاء (القائلين بالحلول والاتحاد) عطلوا أيضا الصانع والرسالة والحقائق كلها، وجعلوا الحقائق بحسب ما يكشف للإنسان»[1].

وعن استحالة الحلول والاتحاد، يورد في ذلك، جمال الدين القاسمي، أن الاتحاد يطلق على ثلاثة أشياء:

**الأول:** أن يصير الشيء بعينه شيئا آخر من غير أن يزول عنه شيء أو ينظم إليه شيء، وهذا محال مطلقا سواء كان في الواجب تعالى أو غيره، لأن المتحدين إن بقيا فهما اثنان فلا اتحاد، وإن فنيا فهما معدومان، وإن فني أحدهما وبقي الآخر، فلا اتحاد أيضا، بل بقاء أحد وفناء آخر.

---

[1] تقي الدين بن تيمية، مجموع الفتاوى، إعداد محمد بن عبد الرحمن بن قاسم،د- ط، د- ت، طبعة السعودية، ص ص 98-103.

**الثاني**: أن ينظم إليه شيء فيحصل منهما حقيقة واحدة، بحيث يكون المجموع شخصا واحدا آخر، كما يقال، صار التراب طينا.

**الثالث**: أن يصير الشيء شيئا آخر بطريق الاستحالة في جوهره أو عرضه، كما يقال صار الماء هواء، وصار الأبيض أسودا.

والكل في حقه تعالى محال: أما الأول فلما مر بنا، وأما الثاني فلأنه اتحاد بطريق التركيب، والواجب تعالى منزه على أن يكون جزءا، حيث يحصل منه ومن شيء آخر حقيقة واحدة، لأن الجزء الآخر يكون موجودا ممكنا، فيكون فاعله ذاته تعالى، ولا تركيب حقيقي بين الفاعل والمفعول لتمايزهما في الوجود.

وأما الثالث فلأن التغير الجوهري والعرض، محال في حقه تعالى لعدم التبدل في صفاته الحقيقية[1].

ويبين الإمام ابن قيم الجوزية مذهب الحلوليين فيقول: «وتوحيد القائلين بوحدة الوجود، أن الوجود عندهم واحد، ليس عندهم وجودان قديم وحديث وخالق ومخلوق، وواجب وممكن، بل الوجود عندهم واحد بالعين، والذي يقال له: الخلق المشبه هو الخلق المنزه، والكل عين واحدة بل هو العين الواحدة»[2].

فالحلول والاتحاد أو وحدة الوجود، تبطل بدلالة الطبيعة في مبحث عدم التداخل في المادة حيث يقرر الطبيعيون أنه لا يمكن أن يشغل جسمان أو جزءان من مادة حيزا واحدا في آن واحد، فدخول الماء في الاسفنجة هو حلول في المسام الموجودة بين الأجزاء، ولو غمرت يدك في إناء ماء لشوهد ارتفاع الماء إلى السطح، وبالتالي يمكن عقلا أن نتصور كيفية التمازج ولا نتصور البتة وجود جزأين في حيز واحد.

وعلى الرغم من بذل الجهد المضني من طرف الملحدين والفلاسفة الجاهلين في الوصول إلى بدأ الخليقة وبدأ هذا الكون، فإنهم لم يصلوا إلى ذلك.

---

[1] محمد جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، مرجع سابق، ص 279-280.

[2] ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ج 01، د.ط، ص 128.

فإن بدأ الخلق ومادته لا يمكن الوصول إليها بوجه ما، لأنها من الغيب، فمن العبث أن يحاول الإنسان التطلع إلى ذلك.

كيف لا، ورب الخلق عز وجل سد كل السبل إلى ذلك حيث قال: ﴿**ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا**﴾[1].

إنه على الرغم من تطور النبات والجنين، ولكن إذا ما كان الأمر متعلقا بكيفية وجود أنواع النباتات أو الحيوانات، أو التساؤل عن المادة التي أنشئ منها أول مرة، أو بداية الخليقة، فهنا يقف العلم ويقف العقل، والأولى لهما الوقوف، لأنه لا يعلم حقيقة الخلق إلا رب الخلق عز وجل .

ومن أدلة شهادة البيئة على وحدانية الخالق عز وجل ، وحدة نظام الخلق. فمن الأمثلة على ذلك؛ المواد الكربوهدراتية ونحوها، جعلها الله مركبة،فيخلق منها فلفلا حارا، ثم يركبها هي نفسها تركيبا آخر فيخلق منها قصب السكر، ثم يركبها ثالثا فيوجد منها نباتا ساما أو مخدرا، ثم يركبها تركيبا رابعا فيوجد منها نباتا دوائيا علاجيا، وهكذا يفعل لإيجاد نبات الطعام كالبقول، ونبات الملابس كالقطن، ونبات العطر كالورد والياسمين، وأشجار الفاكهة المختلقة المذاق والألوان[2].

يقول عز وجل: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولدا، لقد جئتم شيئا إدا، يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولدا**﴾[3].

فسبحان الواحد الأحد، يبين لنا أن كفر المشركين ونسبة النصارى واليهود، لله ولدا، هو قول عظيم وذنب جليل، تكاد السماء أن تنفطر لسماعه، وتنشق له الأرض لشدة هوله وجرمه، وتخر لذلك الإفك العظيم الجبال هدا، فالأرض والسماوات وما فيهما تحيا موحدة الله تعالى وتعبده ليل نهار، وحده لا شريك له لأنها وجدت لذلك وسخرت للإنسان لعبادة

---

[1] سورة الكهف، الآية: 51.

[2] عبد الستار نوير، الوحدانية ومنهج إثباتها في القرآن الكريم، ط 01، دار الثقافة، الدوحة- قطر، 1987، ص 67.

[3] سورة مريم، الآيات: 88-91.

الله تعالى وحده، لذلك حينما ترى من الإنسان- الذي وجد لعبادة الله وحده- عكس ذلك والإشراك بخالقه تعالى، تكاد تنفطر وتتهدم لشدة ذلك الجرم والإفك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## 2- صفة العلم:

بعدما بينا شهادة البيئة بوحدانية خالقها عز وجل، نبين هنا شهادة البيئة بكمال علم الله تعالى وشموله، كيف لا ونحن نرى ونشاهد السماء والأرض وما تضمان من مخلوقات تسير بدقة لا متناهية، وفق قوانين ونواميس، لا يمسها التبديل ولا التعطيل ولا التغيير.

فلو نلاحظ جهاز الكمبيوتر مثلا، ودقته ومدى التطور الذي وصل إليه، ثم بعد ذلك نلاحظ عمل الأقمار الصناعية وفق دقة ثابتة، لشهدنا بعد ذلك بأن من قام بتصنيعهما هو حقا يتصف بالعلم، فهو عالم، ونشهد له بالتطور العلمي. ولله المثل الأعلى، فما بالك بهذه الأرض الفسيحة، فاقت دقة سيرها وتدبيرها، سير مصنوعات الإنسان، بل فاقت دقة سيرها ونظامها، العقل البشري، فما له سوى أن يقف مؤمنا مصدقا بخالق الأرض، بخالق البيئة وعناصرها، وبسعة علمه تعالى.

يقول عز وجل: ﴿**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون**﴾[1].

فهذه الآية تعني أنه: «لا يوجد نوع من أنواع الدواب والطيور إلا وهي أمم مخلوقة مثلكم أيها الناس وهي أيضا أصناف مصنفة مثلكم، لها أرزاقها وآجالها ونظامها وأحوالها وطبائعها والله تعالى يدبرها... و لم يترك الله شيئا إلا ذكره في الكتاب وهو اللوح المحفوظ، أي إن علم جميع المخلوقات عند الله، ولا ينسى واحدا منها من رزقه وتدبيره سواء كان في البر أو البحر أو في الجو.

ونظير الآية قوله تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**﴾[2]»[3].

---

[1] سورة الأنعام، الآية: 38.

[2] سورة هود، الآية: 06.

[3] وهبة الزحيلي، التفسير المنير، مرجع سابق، ج 07، ص 193-194.

فيا لكمال علمه عز وجل ، لا يعزب عن علمه سبحانه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، إن علمه عز وجل محيط بالخلق كلهم، وهو الرزاق لهم، وليس ذلك فقط بل يعلم استقرارهم ومستودعهم ومسكنهم وحركتهم ودبيبهم، كل ذلك في علم الله تعالى.

ويقول تعالى في بيان كمال علمه سبحانه: ﴿**وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون**﴾[1].

وجاء في صحيح مسلم عن عائشة- رضي الله عنها- قال: من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿**قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله**﴾[2].

ويقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿**ويعلم ما في البر والبحر**﴾: «خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر: أي يعلم ما يهلك في البر والبحر»، ويضيف في قوله تعالى: ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها**﴾: «روى يزيد عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من زرع على الأرض، ولا ثمار على الأشجار، ولا حبة في ظلمات الأرض إلا عليها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن فلان» وقيل المعنى: «وما تسقط من ورقة» أي من ورقة الشجر إلا يعلم متى تسقط وأين تسقط وكم تدور في الهواء، ولا حبة إلا يعلم متى تنبت وكم تنبت ومن يأكلها»[3].

/ فسبحان الله العليم الخبير، إن الإنسان على تقدمه وتطور العلوم والتقدم التكنولوجي، لازال يجهل الكثير عن الكون الذي يحيى فيه.

---

[1] سورة الأنعام، الآيات: 59-60.

[2] سورة النمل، الآية: 65.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، مج 07، ص 04.

بل إن العلماء والعلم حاليا لازال لم يكشف بعض الأمور التي قررها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا، وهي الأمور التي أخبرنا الله بها، فما بالك بعلم الله تعالى الذي احتفظ به في علم الغيب عنده.

ويقول عز وجل: ﴿**وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل، إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين**﴾[1].

وجاء في تفسير هذه الآية: «إن هذا المشهد الشامل الواسع، العميق الرائع... مشهد الورق الساقط من شجر الأرض جميعا والحب المخبوء في أطوار الأرض جميعا والرطب واليابس في أرجاء الأرض جميعا... إن هذا المشهد كما أنه لا يتجه إليه الفكر البشري والاهتمام البشري، وكذلك لا تلحظه العين البشرية... إن هذا المشهد إنما تكشف هكذا بجملته لعلم الله وحده؛ المشرف على كل شيء، المحيط بكل شيء، الحافظ لكل شيء»[2].

وإن العلم والعلماء ليشهدان بدقة تسيير هذه الأرض بما فيها وما حولها، ومنه يشهدان بشهادة هذه البيئة وعناصرها بسعة وكمال علم خالقها عز وجل.

فالعلم على الرغم من تطوره وتطور وسائله التكنولوجية الدقيقة في الملاحظة، إلا أنه لا يجزم بمعرفة أبسط الأشياء عن الأرض حوله، وحتى في مجال الأرصاد الجوية مثلا، فعلى الرغم من حداثة وتطور الوسائل التقنية، ثبت عدم إحاطتها أو علمها بأبسط الأشياء المشاهدة المحسوسة، وهي الطقس المحيط بنا.

لذلك ينشرون نظرياتهم التي اكتشفوها، وهم يعلمون ويوقنون أنها ليست العلم اليقيني الحقيقي لما اكتشفوا، بل علمه وعلم جميع ما في الأرض والسماء من مخلوقات، عند خالقها عز وجل ، فلسان حالهم يبين ذلك، إن لم يكن بلسان المقال.

---

[1] سورة يونس، الآية: 61.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 03، ص 1791.

ونستشف من شهادة البيئة بكمال علمه تعالى وإحاطته، أن الإنسان مهما بلغ من تطور في المجال العلمي، فهو لا يساوي شيئا أمام علمه تعالى، وبالتالي يجب على الإنسان أن يفهم ذلك، فلا يطغى ويتجبر، أو يفخر بما وصل إليه، وليعلم أنه: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾[1]، فالأولى لهم الإيمان بعالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

وأما المؤمن بالله تعالى، فيزداد إيمانا بربه سبحانه، حينما يعمل نظره وتفكيره في الكون جميعا في أرضه وسمائه وجميع المخلوقات فيراها على شساعة امتدادها وكثافتها وخفاء الكثير منها عن شهادته وعلمه.

فيعلم بعد ذلك يقينا أن علم هذه الخلائق كلها بما فيها هو ذاته، هو أمر يسير على الله فيتجلى من خلال ذلك سعة علمه تعالى.

[1] سورة الإسراء ، الآية 85

### 3- صفة القدرة:

إن وجود البيئة بعناصرها على هذه الدقة الفائقة من الحياة والسيرورة، وكذا جميع الخلائق الموجودة بها، منذ أمد بعيد لا يعلمه إلا الله وسيبقى كذلك بمشيئة الله، ليدل دلالة صريحة على أن خالقهم، إله قدير، قادر على تسييرهم وتدبير أمور حياتهم جميعا، وأنه سبحانه قدر الخلق كل حسب قدره، فعظمت قدرته.

ونجد ذلك موضحا في القرآن الكريم والسنة الشريفة، فما أن تذكر البيئة بعناصرها إلا وتكون شاهدة شهادة صريحة على قدرة الله تعالى وعظيم إحكام تدبيره.

قال تعالى: ﴿**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**﴾[1].

إنها آية تعرض البيئة وعناصرها، شاهدة لنا، وعارضة لنا مظاهر قدرة الله تعالى العديدة من خلق السماوات والأرض، ومظهر اختلاف الليل والنهار، وظاهرة جريان الفلك في البحر وإحياء الأرض الميتة بالغيث وتصريف الرياح والسحاب وغيرها من عناصر البيئة الحية وغير الحية، كلها تعتبر مظاهر مثبتة لقدرة الله تعالى.

أي إن البيئة شاهدة على قدرته تعالى؛ شاهدة بإحكام سيرها ودقة حركتها فالسماء وما حوت من شمس وقمر ونجوم، والأرض وما أقلت من دواب ونبات وبحار وأنهار، كلها تسير وفق قوانين ونواميس رائعة الدقة، كل هذا يدل على قدرة الخالق عز وجل.

فالنظرة تنادي بذلك، والعقل ينادي بذلك، وهي شهادة أو آيات لقوم يعقلون، فقط كفاهم أن يعملوا عقولهم في هذه المظاهر الشاهدة بقدرته تعالى ليهتدوا إلى ذلك.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 164.

ويقول عز وجل: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب**﴾[1].

لقد ضرب الله تعالى مظهرا من مظاهر قدرته في هذه الآية؛ وهو تداخل الليل والنهار- آيتي الليل والنهار-، فهو تعالى الذي يولج الليل في النهار، زيادة وقصرا، فيطيل هذا ويقصر هذا، وقد يعتدلان، وهو ما نشاهده ونحياه في حياتنا، في ليلنا ونهارنا طول السنة، فظاهرة زيادة الليل والنهار وتفاوتهما واعتدالهما نراه عبر الفصول الأربعة، وحتى نجده ونراه بالملاحظة، حسب الموقع الجغرافي للبلدان، فقد يتعادل الليل والنهار في بعض البلدان، فيكون الليل ستة أشهر وكذلك النهار، وقد يكون في بعض البلدان النهار طويلا يصل إلى ثمانية عشرة ساعة، فسبحان مكور الليل والنهار، وما أعظم قدرته.

وقد اختلف العلماء حول إخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي، فقالوا هي الدجاجة تخرج حية من البيضة وهي ميتة، وهي البيضة وهي ميتة تخرج من الدجاجة وهي حية.

وفي النبات كذلك، هي الحبة تخرج من السنبلة وهي السنبلة تخرج من الحبة، والنواة تخرج من النخلة، والنخلة تخرج من النواة، وكل ذلك بفعل العلي القدير.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**تولج الليل في النهار...**﴾ الآية. جاء أنها

«حركة في كيان الكون كله، وفي كيان كل حي كذلك، حركة خفية عميقة لطيفة هائلة، تبرزها هذه الإشارة القرآنية القصيرة للقلب البشري والعقل البشري، وهي تشي بيد القادر المبدع اللطيف المدبر... فمتى يحاول البشر أن ينعزلوا بتدبير شأنهم عن اللطيف المدبر

[1] سورة آل عمران، الآيات: 26-27.

؟ وأنى يختاروا لأنفسهم أنظمة من صنع أهوائهم، وهم قطاع من هذا الكون الذي ينظمه الحكيم الخبير»[1].

ويبقى القرآن الكريم في تذكير بقدرة الله تعالى، يعرضها ويؤكدها عبر مشاهد البيئة لأنها الأقرب إلى العقل البشري، علها تكون المنبه والآيات الهادية للبشر إلى طريق الحق، حيث يقول تعالى: ﴿**هو الذي يسيركم في البر والبحر، حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين**﴾[2].

فالله تعالى هو الذي أنعم على الإنسان، سواء بالدواب التي اتخذها راحلة يسير بها على الأرض أو بالفلك- أي السفن- التي تحملهم وتحمل متاعهم وتسير بهم في البحر، وفوق هذا فالله هو الذي يسيرهم وهو الذي يحرك السفن بالرياح، فلو لم تكن الريح الطيبة لظلت السفن قابعة في مكانها لا تتحرك فيبين تعالى للناس، عبر هذا المشهد البيئي المعاش، أنه هو الذي قدر لهم ذلك، وأنه هو الذي سخر لهم ذلك، وأنه تعالى إن شاء بدل الريح الطيبة ريحا عاصفة فتلاطمتهم الأمواج في وسط البحر، وظنوا أنهم هالكون لا محالة، فهنا إذن تنكشف الحجب ويذهب التنكر ويتبدد، هل يدعون شركاءهم الذين يزعمون ؟ هل يستطيعون النجاة بأنفسهم؟ كل ذلك لا يكون، بل يدعون القادر على كل شيء، يدعون الله تعالى: ﴿**دعوا الله مخلصين له الدين**﴾.

وفي عرض القرآن لمظاهر البيئة وعناصرها، وإثباته لقدرة الله تعالى، يقول عز وجل: ﴿**الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر، كل يجري لأجل مسمى، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون، وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، وفي الأرض قطع متجاورات**

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج 01، ص 358.

[2] سورة يونس، الآية: 22.

**وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾**[1].

يا له من وصف دقيق للكون بشموله، بسمائه وأرضه، آيات قليلة عرض فيها سبحانه الكون كله، وبين قدرته وحكمته في تدبير هذا الكون الشاسع وتسييره.

فمن الآيات الواضحة الجلية، الدالة على قدرته تعالى، هاته السماوات المرفوعة، من رفعها يا ترى ؟ وبأي شيء رفعت ؟.

نحن في عالم الشهادة، لما نرفع الشيء، ولو كان بسيطا، لا بد لنا من أسس وركائز نرفعه بها، فما بالك بالسماوات التي لا نلاحظ منها إلا السماء الدنيا، هذه السماوات رفعها خالقها عز وجل بقدرته تعالى، بغير أعمدة ترى.

ثم ينقلنا تعالى إلى مشهد الآيتين الواضحتين لنا برأي العين، وهما الشمس والقمر فهما بعظمتهما مذللتين طائعتين لما أراده منهما خالقهما تعالى، فعلى من عقل ذلك من الناس، أن يتق الله القادر على كل شيء.

فمن لم يتعظ بشهادة السماوات وما فيها بقدرة الله تعالى، فليمعن نظره في الأرض التي يحيا عليها، فلينظر إلى امتدادها الشاسع، فالإنسان إذا ما وقف في أرض منبسطة ونظر فسيرى إلى نهاية مرأى بصره، وأكثر منه بعدا انبساط الأرض وامتدادها، فمن مدها هكذا يا ترى ؟ إنه الله تعالى العلي القدير.

ثم إن هذه الأرض المبسوطة، لو تركت هكذا لما سكنت، فبقدرة الله تعالى أرساها وثبتها بالجبال الرواسي، وقد أثبت العلم الحديث صحة ذلك، فالجبال ليس ذلك الجزء المرتفع من على سطح الأرض المرئي لنا فحسب، بل هو جزء منها، بل هو عشر (10/1) من طول الجبل، وتسعة أعشار (10/9) من طول الجبل تحت الأرض،[2] لذلك فهي رواسي

---

[1] سورة الرعد، الآيات: 2-4.

[2] إحسان هندي ، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق ، ص 52

حقيقية للأرض،ة ولذلك قال تعالى: ﴿**يسألونك عن الجبال قل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا**﴾[1].

وليزداد الإنسان بصيرة بقدرة خالقه عز وجل، فليرقب ثمرات الأرض من النبات فسيجدها مكونة من قاعدة الازدواجية، أي من كل نوع زوجين اثنين (الذكر والأنثى)، وقد أثبت العلم مؤخرا ذلك، فعلم أن النبات أيضا يحيا على التزاوج في تكاثره ونموه فهناك نبتة ذكر وأخرى أنثى، وليست الازدواجية في النبات فقط، بل في مظاهر البيئة غير الحية أيضا في ظاهرة الليل والنهار، فالكون بجميع مخلوقاته مبني على مبدأ الازدواجية، فهذه كلها آيات واضحة جلية لكم يا من تلحدون وتجحدون، فأعملوا فكركم فيها إنها آيات ناطقة بقدرته تعالى.

وإذا لم تكفكم هذه البراهين والدلائل البيئية على الإيمان بالعلي القدير، فأوسعوا نظركم وتفكيركم، ولكم فرصة أخرى للاهتداء، فأعملوا نظركم في الأرض لتروا برهانا بيئيا آخر، وأن الأرض مجزأة إلى قطع متجاورة الحدود، لكنها تختلف في ماهيتها، وخصائصها، فالسهل يجاور الهضبة، والهضبة تجاور التل، والتل يجاور الصحراء، فهي قطع متجاورات ولكن تختلف.

وحتى الاختلاف هذا يمس أيضا النبات فهناك الزرع، والثمار، والنخيل، متشابهة وغير متشابهة، فمنها ما هو حلو ومنها ما هو مر، والزروع تختلف كذلك وثمار النخيل كذلك، هذا كله من نعم الله تعالى وقدرته الجليلة، بل والأمر الذي يتوقف عنده العقل مسبحا بعظمة قدرة الخالق عز وجل، أن تجد نخيلا صنوان- أي نخلتين بجذع واحد- لكنهما مختلفتين في الثمار.

وأن الزروع والثمار تسقى كلها بماء واحد، لكن نجدها تختلف عن بعضها، فمنها الحلو والمر، ومنها الأسود والأبيض ومنها اليابس واللين، وحتى في الأكل، فيفضل بعضها

---

[1] سورة طه، الآيات 105-106

على بعض، فهذه كلها آيات واضحات متجليات لقوم يعقلون، فمن يعمل عقله فيها حتما سيهتدي إلى الحق ويقر بقدرة الله تعالى في الخلق.

ويضيف تعالى في عرض البيئة وعناصرها الدالة على قدرة الله الباهرة، فيقول: ﴿**إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، ذلكم الله فأنى تؤفكون، فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا، ذلك تقدير العزيز العليم، وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون، وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون، وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه، إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون**﴾[1].

فالله تعالى يعدد لنا آيات قدرته في البيئة وعناصرها، وهذه الآيات يعقب عليها دائما ويختمها بأنها لقوم يعلمون بأنها لقوم يفقهون، حيث أنه من يعمل عقله ونظره في هذه الآيات الكونية، حتما سيعلم قدرة الخالق عز وجل وسيهتدي إلى الحق، وهناك مثال رائع في الآيات، وهو قدرة من قدرته تعالى ﴿**فالحق الحب والنوى**﴾.

فالله تعالى هو الذي يشق البذرة والنواة في التراب، فتنبت نبتة ثم تخرج بقدرته تعالى، على سطح الأرض، وإن العلم ليثبت ذلك، فنحن نعلم جميعا أن الفلاح يقدم الأسباب فيحرث الأرض في موسم الحرث، ثم يبذرها ويغطي البذور بالتراب، ثم يترك أمرها بيد الله تعالى، فالله عز وجل هو الذي ينعم عليه بالمطر فيسقي البذر، وهو تعالى المسئول عن شق الحبة داخل التراب، فكيف بحبة يابسة ميتة تغطى بالتراب ثم بعد ذلك تنتش البذرة، ثم تخرج ساق تلك النبتة الرخوة شاقة طبقة التراب اليابسة، وتخرج على سطح التراب[2].

---

[1] سورة الأنعام، الآيات: 95-99.

[2] بركات محمد مراد، الإسلام والبيئة-رؤية حضارية- ،ط 1، دار القاهرة ،مصر :2003،ص:87

فمن بيده ذلك ؟ أهو العلم ؟ أم هو الإنسان ؟.

كلا، إن العلم والإنسان يقران عاجزين، بأن ذلك كله يكون بالقدرة الإلهية، بقدرة الله تعالى.

فهو تعالى فالق الحب والنوى، وهو تعالى الذي يقدر للنبتة الخروج فوق سطح الأرض وبالنمو حتى تصبح نبتة ناضجة تعطي ثمارا أو نخلة باسقة تذر الثمار.

فالفلاح والعلم يعلمان أن آخر عمل ينتهي بعد بذر البذور، وتغطيتها بالتراب وبعد ذلك يسلم نفسه إلى قدرة الله تعالى، فهو الذي إن شاء أنعم بالغيث لري الزرع، وإن لم يشأ إنزال الغيث هلك الزرع وماتت البذور.

وهو الذي يخرج النبات، والنخيل، الحي من البذرة، والنواة، الميتة، كل هذا بمشيئته تعالى وقدرته.

ويؤكد تعالى على عظيم قدرته، ويتحدى بذلك الكفار والملحدين، بأن ينظروا في البيئة وعناصرها، بأن ينظروا في الأرض من حولهم لكي تتجلى لهم قدرة الخالق عز وجل.

يقول تعالى: ﴿**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور، الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير**﴾[1].

[1] سورة الملك، الآيات: 1-4.

## 4- صفة الرحمة:

إن الوالد إذا ما وفر لأبنائه ما يحتاجونه ورباهم فأحسن تربيتهم وقام بمسؤوليته اتجاههم قلنا أنه والد رحيم بأولاده، وإن الأم إذا ما وفرت لأبنائها الرعاية والعطف والحنان، وقامت بمسؤوليتها اتجاههم قلنا حتما إنها مثال الأم الرحيمة بأبنائها.

فما بالك بالذي خلق هذه الأرض التي نحيا عليها، وجعلها سهلة ميسرة مذللة لحياة المخلوقات، إنه الله أرحم الراحمين.

إن البيئة وعناصرها من حولنا لأكبر شاهد على رحمة الله تعالى بالخلائق جميعا.

ومن أهم هذه الخلائق التي تعمهم رحمة الله، الإنسان، هذا الكائن الذي سخر الله له ما في الأرض وما في السماء من أجل أداء الخلافة في الأرض.

قال تعالى في سورة النحل، مبينا نعمه العظيمة على الإنسان وسعة رحمته التي يحيا فيها الناس جميعا: ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرءوف رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**﴾[1].

هذا فيما يخص البيئة الحيوانية، وكيف تشهد برحمة الله تعالى اتجاه الإنسان وسائر الخلائق.

ثم ينقل لنا القرآن الكريم عبر نفس السورة مجموعة من المشاهد البيئية شاهدة برحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، فيقول تعالى، واصفا وموضحا ذلك عبر مشاهد البيئة النباتية: ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**﴾[2].

---

[1] سورة النحل، الآيات: 5-8.

[2] سورة النحل، الآيات: 10-11.

ثم يأتي التذكير برحمة الله تعالى، عبر عنصر لا يقل أهمية من عناصر البيئة، ألا وهو مشهد الليل والنهار والشمس والقمر، حيث يقول تعالى: ﴿**وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾[1].

فهذا كله كذلك من رحمة الله عز وجل بالعباد والخلائق جميعا، وهي آيات لمن أمعن النظر والعقل، فقابل هذه الرحمة وهاته النعم بشكر الله عليها والإذعان والخضوع له عز وجل .

وينقلنا السياق القرآني إلى نعمة جليلة من نعم الله تعالى، ورحمته تعالى الظاهرة عبر مشاهد البيئة وعناصرها، وهي التنوع العظيم والدقيق في نفس الوقت، الذي تشكلت وخلقت الأرض وما فيها عليه، يقول تعالى: ﴿**وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه، إن في ذلك لآية لقوم يذكرون**﴾[2].

ويوضح كذلك لنا القرآن رحمة الله تعالى عبر مشاهد البيئة البحرية، فيقول تعالى: ﴿**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**﴾[3].

وهذا شاهد آخر من شهادات البيئة برحمة الله تعالى، وهو تسخير البحار والمحيطات، وما شابهها من وديان وأنهار وبحيرات، لبني الإنسان فكل ما ينتفع به الإنسان من البيئة المائية والبحرية هو نعمة من الله تعالى ورحمة منه عز وجل بالعباد.

ويختم السياق القرآني في سورة النحل عرض عناصر البيئة الحية وغير الحية، الشاهدة برحمة الله تعالى، بذكر عنصر هام من عناصر البيئة غير الحية، فيقول تعالى: ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون**﴾[4].

---

[1] سورة النحل، الآية: 12.

[2] سورة النحل، الآية: 13.

[3] سورة النحل، الآية: 14.

[4] سورة النحل، الآية: 15.

وبذلك يكون تعالى قد بين لنا عبر هذه الآيات القليلة من القرآن، مشاهد البيئة وعناصرها العظيمة واللامحدودة وشهادتها الناطقة برحمة الله تعالى، ومهما شاهدنا ولاحظنا من عناصر البيئة الشاهدة برحمة الله تعالى بخلقه، كان ما خفي علينا وما لم نلحظه أكثر وأعظم. لذلك يقول تعالى في ختام هذه الآيات: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم**﴾[1].

وتبقى الآيات القرآنية تعرض لنا رحمة الله بعباده عبر مشاهد البيئة التي نشاهدها يوميا ونحياها. قال تعالى: ﴿**والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين، والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون**﴾[2].

وعن سبب نزول هذه الآية يذكر بن أبي حاتم بسنده إلى مجاهد: «أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿**والله جعل لكم من بيوتكم سكنا**﴾، فقال الأعرابي: نعم، قال: ﴿**وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا**﴾ الآية. قال الأعرابي: نعم، ثم قرأ عليه، كل ذلك وهو يقول: نعم، حتى بلغ ﴿**كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون**﴾ فولى الأعرابي، فأنزل الله: ﴿**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**﴾[3].

فهذه شهادة من عناصر بيئية برحمة الله بنا نحن العباد، وقد كان هذا كله لأجل أن نعبد الله وحده لا شريك له، فشكر الله على هذه النعم هو عبادته وطاعته والإسلام له عز وجل، وإذا ما انحرف الإنسان عن الإسلام وطاعة الله تعالى فكفر وألحد، فما أدى شكره لله تعالى، فما شكر من أنعم عليه ورحمه، الرحمن الرحيم.

---

[1] سورة النحل، الآية: 18.

[2] سورة النحل، الآيات: 80-81.

[3] سعيد حوى، الأساس في التفسير، مجلد 06، ط 05، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، 1999م، ص 2963.

فالبيئة تشهد برحمة الله تعالى، لتدعونا بعد ذلك بلسان الحال إلى طاعة الله تعالى والإيمان به عز وجل وشكره على نعمه. وهذه نتيجة حتمية من كل مسلم مخلص في إسلامه. حيث يقول تعالى: ﴿**ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**﴾[1].

وما نلحظه في هذه الآية وآيات أخرى هو التصريح بلفظ الرحمة وأن عناصر البيئة إنما هي من رحمة الله بالإنسان.

يقول تعالى: ﴿**أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته، أإله مع الله، تعالى الله عما يشركون**﴾[2].

حتى إن نعمة عظيمة من نعم الله على الإنسان، وهي نعمة الماء أو ما يرمز له في القرآن بالغيث (المطر) يشير لها القرآن في أكثر من آية بأنها من رحمة الله، فسميت رحمة.

لذلك يؤكد عز وجل للمؤمنين ليزدادوا إيمانا، وللكافرين والملحدين لكي يتعظوا ويهتدوا، عن رحمته بالناس بإنزال المطر، فيقول تعالى: ﴿**أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون**﴾[3].

فالله تعالى هو صاحب هذه النعمة وهي رحمة منه بالخلق جميعا، فما من أحد يستطيع أن ينزل الغيث من السماء، ولقد أراد الملحدون أن يفعلوا ذلك، فقاموا بتوفير الظروف الطبيعية التي يسقط فيها الغيث، ولكن عملهم باء بالفشل ويبوء بالفشل لأن ذلك من صنع الله الذي أتقن كل شيء وهي رحمة من رحماته التي لا تعد ولا تحصى.

ويضيف تعالى، في تقرير أن الغيث من نعمه تعالى وأن الماء الذي يتنعم به الخلق وعلى رأسهم الإنسان، هو رحمة منه عز وجل، ولولا رحمته بخلقه وعطفه عليهم لجعل ذلك الماء العذب السائغ للشراب، أجاجا مالحا لا يستطيع الإنسان ولا يقوى على شربه، ولكن من

---

[1] سورة الروم، الآية: 46.

[2] سورة النمل، الآية: 6.

[3] سورة الواقعة، الآيات: 68-69.

رحمته تعالى بالناس والخلائق جميعا أعاده على عذوبيته وصلاحيته للاستهلاك واستمرار الحياة، قال تعالى: ﴿**لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون**﴾[1].

فهذه نعمة ورحمة من الله تعالى، تستحق أن يقابلها البشر بالشكر والعبودية الخالصة لله عز وجل.

ونظير هذه الآية، ما جاء في آخر سورة الملك، قوله تعالى: ﴿**قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين، قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**﴾[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] سورة الواقعة، الآية: 70.

[2] سورة الملك، الآيات: 29-30.

## المطلب الثاني: شهادة البيئة بالآخرة (البعث):

إن الإيمان باليوم الآخر والبعث هو ركن من أركان الإيمان الستة التي لابد للمؤمن أن يؤمن بها، فإذا آمن بها الإنسان المسلم اطمأن قلبه وحسن إيمانه، فعلم من أين أتى ؟ وما جاء يفعل في الحياة ؟ وإلى أين المصير ؟.

واليوم الآخر، من ركائزه قضية البعث، وهي من الأمور الغيبية التي أخبرنا بها القرآن الكريم والسنة المطهرة.

لذلك كان المشركون والكفار من لدن آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، كانوا يكفرون بها، ويقولون عنها أساطير، وكلما بشر بها رسول من رسل الله- عليهم السلام- اتخذهم المشركون هزءا، وتساءلوا: هل سنبعث من تحت الأرض ونخرج ونحيا من جديد ؟.

فجاءت آيات القرآن الكريم، تبين لهم ولأمثالهم، وتزيد المؤمنين إيمانا بإثبات قضية البعث، فكان هذا الإثبات معروضا في صورة البيئة وعناصرها، لكي يفقهها ويعلمها من أعمل عقله ونظره في الأرض والسماء، لكي تقرب إلى الإنسان الذي لا يؤمن إلا بالمحسوس.

فكادت تكون كل الآيات الدالة على ثبوت البعث حجة، وفيها دلالة صريحة عبر البيئة وعناصرها، فلا نكاد نجد إثباتا للبعث إلا والبيئة شاهدة عليه.

ومن هذه الإثباتات والبراهين، قوله تعالى: ﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته، حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون**﴾[1].

هذه الآية الكريمة جاءت رادة على من أنكر البعث من الكفار وأهل الأديان المحرفة.

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 57.

فجاءت عبر صورة فائقة الروعة والعرض، جاءت عبر آية كونية، ظاهرة للناس جميعا، يلحظها العقل ويلحظها النظر، إنها توضح قدرته تعالى، وأنه تعالى هو الذي يرسل الرياح رحمة منه لتقل سحابا مثقلا بالغيث، فتسوقه الرياح إلى "بلد ميت" كالصحراء، أو الأرض الجدباء القاحلة التي لا توجد فيها أدنى شروط الحياة الضرورية، لذلك عبر عنها تعالى بـ"الميت"، وتأتي قدرة الله تعالى ثانية فينزل الماء على ذلك البلد الميت، فيخرج به من كل الثمرات، فيحيا البلد ويظهر وأنه خلق هكذا، وكأنه لم يكن ميتا؛ لم يكن أرضا جدباء قاحلة.

إذن أيها المشركون المشككون في قضية بعثكم من جديد وأن الله يبعث من في القبور، هذا دليل بيئي صريح يبين لكم أن ذلك واقع معكم بعد موتكم، كما يقع مع كل بلد ميت.

وقد يلحد الملحدون ويقولون: إنما هي قوانين وسنن الطبيعة هي التي تفعل ذلك، فيجيبهم العلم ويجيبهم الواقع، وأنه حتى وإن سقط المطر بأرض جدباء، فإن لم يقدر لها الله الحياة فلن تحيا، وستبقى أرضا ميتة، وهذا واقع حقا، وأثبته العلم ولكن وقف عاجزا عن تفسيره، وبعد أخذ ورد، أرجع الأمر إلى قدرة الله تعالى.

وكما سبق وأوضحنا عند الحديث عن شهادة البيئة بقدرة الله تعالى، كيف يخرج الله الحي من الميت؛ كيف يخرج النبتة الناضجة الحية التي تعطينا ثمارا من بذرة ميتة جافة صلبة ليس فيها جزء من الحياة، وكيف يخرج النخلة الباسقة من النواة الميتة.

فمثل ما أحيا الأرض أو البلد الميت ﴿**كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون**﴾.

فيوضح تعالى عبر صورة كونية واضحة أنه سهل ويسير عليه تعالى، إخراج من في القبور وبعثهم جميعا، من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الخلق، كما هو الحال بالنسبة لإحياء البلد الميت.

والآيات القرآنية جعلت من قضية البعث قضية جلية واضحة تكاد تكون مرئية، حيث نقلها تعالى بوصفه لها وتصويره لها عبر البيئة وعناصرها، بما فيها الإنسان الذي هو جزء هام في هذه البيئة؛ نقلها من عالم الغيب إلى عالم قريب من المشاهدة.

يقول عز وجل: ﴿**يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**﴾[1].

يقول القرطبي: «قوله تعالى: ﴿**وترى الأرض هامدة**﴾ ذكر دلالة أقوى على البعث، فقال في الأول: «فإنا خلقناكم من تراب» فخاطب جمعا، وقال في الثاني: «وترى الأرض» فخاطب واحدا، فانفصل اللفظ عن اللفظ، ولكن المعنى متصل من حيث الاحتجاج على منكري البعث»[2].

ويقول وهبة الزحيلي في تفسير الآية: «أي وإذا تأملت أيها الإنسان، ترى الأرض ميتة يابسة لا نبات فيها ولا زرع، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر أو غيره، تحركت بالنبات وحييت بعد موتها، ازدادت وارتفعت وانتفخت بالماء والنبات، ثم أنبتت من كل صنف من النبات والزرع، فمن قدر على إحياء الأرض الميتة الهامدة التي لا ينبت فيها شيء، قادر على إحياء الموتى»[3].

فيا له من تصوير فائق الروعة، تصوير لخلق الإنسان والنبات وإحياء الأرض، كأنما هي مناظر متحركة مشاهدة، ينتقل نظر وعقل الإنسان معها من مشهد إلى آخر، مرتبطة ارتباطا

---

[1] سورة الحج، الآيات: 5-7.

[2] الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، د.ط، د.ت، مج 12، ص 13.

[3] وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج 17، ص 160.

منطقيا إلى أن نصل إلى النتيجة، أن محيي الأرض الميتة وخالق الإنسان من تراب، قادر على بعث من في القبور وإحيائهم من جديد.

فعبر صورة بيئية يعلمها العام والخاص، العالم والجاهل، الكبير والصغير، يتأكد للمؤمن والكافر على السواء أن قضية البعث ستكون حتما، كما تكون حياة الأرض الميتة بعد ريها بالماء وبقدرة الله عز وجل.

ونسير مرة أخرى مع شهادة البيئة على البعث، من خلال القرآن الكريم، ونتوقف عند قوله تعالى: ﴿**بل قالوا مثل ما قال الأولون، قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون، لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون، قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله قل أفلا تتقون، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل فأنى تسحرون، بل آتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون**﴾[1].

يوضح تعالى من الآيات الكريمة إنكار المشركين للبعث مع وضوح الأدلة عليه واتباعهم لضلال السابقين من آبائهم، من الاستبعاد والتكذيب والجحود، ثم يرد عليهم مثبتا قضية البعث بثلاثة براهين واضحة الدلالة:

1- ﴿**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون**﴾، هنا يخاطب تعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ويأمره أن يسأل منكري الآخرة: من مالك الأرض، الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات وغير ذلك من المخلوقات، إن كنتم من أهل العلم؟. وفي قوله تعالى: ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾: استهانة بهم وتأكيد لجهلهم، ثم يجيبون بعد ذلك بداهة، بأنها لله.

[1] سورة المؤمنون، الآيات: 81-90.

وبعد أن تقام عليهم الحجة، كيف لا يتدبرون ذلك إذن، ويعلمون أن من خلق هذا ابتداء قادر على إعادته.

2- ﴿**قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم**﴾: بعد عرض الدليل الأول، وهو آية الأرض وما فيها، وجه أنظار المشركين المعاندين إلى آية السماء وما فيها، فمن خالقها ؟.

فيجيبون، بداهة: أنه الله، وأنها لله تعالى، وبعد ذلك أفلا يتذكرون، فيتقون ويؤمنون بثبوت البعث.

3- ﴿**قل من بيده ملكوت كل شيء**﴾: الله تعالى يأمر رسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأن يسأل منكري البعث للمرة الثالثة: من بيده الملك والتصريف والتدبير ؟. فسيكون جوابهم: أنه الله. فتثبت عليهم الحجة ؟ وأن الله تعالى هو المالك المتصرف المدبر لكل شيء، للحياة والممات، فهو الذي يحيي ويميت.

ويصدق قوله تعالى فيهم: ﴿**بل آتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون**﴾، فلقد جاءكم القرآن بالحق وأقام عليكم البرهان والدليل بعالم الشهادة على ثبوت البعث. فإن لم تزالوا في غيكم وجحودكم للحق، فإنكم كاذبون.

فهذا استدلال عظيم، تدرج مع الصور الكونية، تدرجا منطقيا رائعا، لإقامة الحجة على المشركين، والتأكيد على ثبوت البعث.

وفي إطار الاستمرار في إثبات البعث، يعرض الله تعالى في سورة "يس" مشاهد بيئية مؤكدة مثبتة للبعث.

قال تعالى: ﴿**أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون، أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم، إنما**

**أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾**[1].

فمما يذكر في سبب نزول هذه الآيات، أنه: أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، ففته، فقال: يا محمد أيبعث هذا بعدما أرم ؟ قال: «نعم يبعث الله هذا،م ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم» فنزلت الآيات: ﴿**أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة...**﴾ إلى آخر السورة.

وأخرج بن أبي حاتم عن مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير، والسدي نحوه[2].

إن الله تعالى يرد على هذا الكافر المنكر للبعث، بأن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض، وما إعادة ذلك بالأمر العسير عليه عز وجل ، بل هو أمر سهل، فما بالك بإعادة من في القبور وإحياء الموتى، فهو أمر أيسر.

فتبارك المالك المتصرف المدبر لكل شيء، وسترجعون إليه حتما.

ولقد وضح كذلك عز وجل من خلال سورتي النبأ والنازعات من خلال عرض مشاهد البيئة التي ترى كشهادة واضحة على ثبوت قضية البعث.

---

[1] سورة يس، الآيات: 77-83.

[2] وهبة الزحيلي، التفسير المنير، مرجع سابق، ج 23، ص 54.

## المبحث الثالث: علاقة البيئة بالإنسان في العقيدة الإسلامية

نتناول هنا علاقة الإنسان بالبيئة في إطار المنظور العقدي الإسلامي ، الذي وضح مدى العلاقة الوطيدة بين الإنسان والبيئة في إطار توضيح ثنائية الوجود ، الرب الخالق سبحانه وتعالى ، والمربوب المخلوق الذي هو هذا الكون ، ومنه هذه البيئة الأرضية وهذا الإنسان.

فمنذ أن اهتمت الدراسات بقضية البيئة، كعلم قائم بذاته، ونقصد هنا الدراسات الحديثة الغربية والتي على شاكلتها، لم تول اهتماما لهذه العلاقة و لم تلق لها بالا.

في حين نجد العقيدة الإسلامية أولت ذلك اهتماما كبيرا، فأوضحت وظيفة الإنسان في الأرض، وأنها وظيفة الاستخلاف، وعلاقته بها، وأنها وظيفة التسخير. فكانت العلاقة مبنية على أسس متزنة قوامها: الاستخلاف والتسخير.

والتطرق لعلاقة الإنسان بالبيئة في العقيدة الإسلامية، لها من الدور الهام بما كان، لأنها تمثل المرجعية، في كيفية تعامل الإنسان مع البيئة، وفي ترشيد علاقته بها.

ولتفصيل وإيضاح هذه العلاقة، كما قلنا سابقا، نجدها تبنى على أساسين متينين متزنين حددهما الخالق عز وجل ، وهما: الاستخلاف والتسخير.

فالاستخلاف يمثل وظيفة الإنسان، والتسخير هو وظيفة البيئة، والجمع بينهما كعنصرين متكاملين متحدين، يوضح لنا علاقة الإنسان بالبيئة.

ونجدهما يتضحان عبر الوحدة بين الإنسان والبيئة التي وضحتها العقيدة الإسلامية، وتكريم الإنسان على البيئة، وتسخير البيئة وعناصرها للإنسان. وهذا ما سنعكف على توضيحه في هذا المبحث.

## المطلب الأول: علاقة الوحدة بين الإنسان والبيئة في العقيدة الإسلامية:

نعني بها وحدة الإنسان والبيئة، هذه الوحدة التي تنطلق من أن الوجود ثنائية، وجود المربوب المخلوق، والوجود الإلهي الأزلي.

فالمربوب المخلوق هو الإنسان والكون جميعا، تربطهم بالله تعالى العبودية الخالصة، فالعبادة في الإسلام تقتضي ثنائية الوجود: المربوب المخلوق، والخالق عز وجل (واجب الوجود).

وتتجلى علاقة الوحدة بين الإنسان والبيئة، كما جاء في القرآن الكريم، عبر وحدات ثلاثة، مرتبة ترتيب تكامل وارتباط وثيق وهي: وحدة المنشأ، ووحدة الغاية، ووحدة المصير أو المآل.

### الفرع الأول: وحدة المنشأ:

حرص القرآن الكريم على بيان العناصر المشتركة بين الإنسان والأرض التي يحيا عليها، ولعل هذه الوحدة فائدتها: تحقيق الألفة بين الإنسان والأرض، وأنهما لله تعالى خلقا وتدبيرا.

يقول تعالى: ﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قيلا ما تشكرون**﴾[1].

يقول الرازي، في قوله تعالى: ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾: «قيل المراد آدم عليه السلام فإنه خلق من طين، ويمكن أن يقال أن الطين ماء وتراب مجتمعان، والآدمي أصله مني، والمني أصله غذاء، والأغذية إما حيوانية وإما نباتية، والحيوانية بالآخرة ترجع إلى النباتية، والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو الطين»[2].

فالإنسان كما مر، مخلوق من طين، الذي هو مادة الأرض، فجسم الإنسان كما يؤكد علماء الكيمياء العضوية، يتكون مما يتكون منه تراب الأرض وصعيدها، من أكسجين

---

[1] سورة السجدة، الآيات: 7-9.

[2] الفخر الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مج 13، ج 25، ط 03، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1985م، ص 174.

($O_2$)، والكربون (C)، والحديد (F)، والكلسيوم (K)، والصوديوم والبوتاسيوم وغيره[1] ويؤكد ما يقولون قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب**﴾[2].

يقول تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿**والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع**﴾[4].

فيبين لنا الله عز وجل، أن الماء يدخل في تكوين كل الكائنات، وهو أصل كل الموجودات.

والعلماء يقولون أن الماء يدخل في أكثر المواد، كالخضراوات والفاكهة، فيهما من الماء حوالي 95 % من وزنها، واللحم الطازج فيه أكثر من 50 %، واللبن فيه حوالي 90 %، بل إن جسم الإنسان نفسه فيه من الماء ما يساوي ثلثي (2/3) وزنه العام[5].

ومن خلال هذا القرار الرباني، تتبين لنا وحدة المنشأ بين الإنسان والبيئة وعناصرها. ويؤكد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة τ قال: قلت يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، فأنبئني عن كل شيء، قال: «كل شيء خلق من الماء»[6].

وبالتالي هذا القرار الرباني، وضح قضية الخلق، ويهدم كل نظرية منحرفة قيلت عن بدأ الخلق، مثل نظرية النشوء الذاتي، التي مفادها أن الحياة تنشأ تلقائيا من مواد غير حية.

وتوضيح القرآن لأصل خلق الإنسان ومراحل تطوره يهدم نظرية داروين، التي لم يتقبلها العقل السليم.

---

[1] إحسان هندي ، قضايا البيئة من منظور إسلامي ، المرجع السابق ،ص : 25

[2] سورة الحج، الآية: 05.

[3] سورة الأنبياء، الآية: 30.

[4] سورة النور، الآية: 45.

[5] عبد الحميد محمد لهاشمي، لمحات نفسية في القرآن، طبعة مكتبة رحاب، الجزائر، ص 43.

[6] رواه الإمام أحمد في مسنده تحت رقم 5620، وإسناده على شرط الصحيحين.

وتبقى وحدة المنشأ بين الإنسان والأرض، شاهدة على تكامل العلاقة بين الإنسان والبيئة وعناصرها.

وهي نقطة هامة تساهم في خلق شخصية إسلامية تنظر إلى الكون جميعا نظرة تكامل واستثمار وإعمار.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

### الفرع الثاني: وحدة الغاية:

نعلم كلنا أن للإنسان نظام وحركة دقيقة في سيره وحياته، وكذلك بالنسبة للأرض. وإن هذا النظام والحركة في حياة الإنسان والأرض، كما أخبرنا القرآن والسنة، أنها تكون وفق مبدأ السببية الجعلية، حيث يقول في ذلك محمد سعيد رمضان البوطي: «فلذلك أطلق العلماء على هذه الأسباب الكونية اسم الأسباب الجعلية، أي في أمور جعلها الله بمحض المقارنة أسبابا، فهي مجعولة جعلا»[1].

ومنه تفند كل الأقوال التي تبني نظام وحركة الإنسان والأرض على الأسباب الغائية، بل هي وفق أسباب جعلية تسير في إطار قدرة الله تعالى. لا تخرج عنها قيد أملة.

والناظر في حياة الإنسان والأرض، وكيفية سيرورتهما في هذه الحياة، الدنيا، يجدهما يسيران وفق نظام دقيق متناهي الدقة.

فهذا الإنسان الذي خلقه تعالى من أجل غاية سامية ونبيلة، وهي تحقيق العبودية، والاستخلاف الرباني، وتحقيق عمارة الأرض بما شرع الله تعالى.

ولهذا الإنسان سخر عز وجل هذه الأرض، هذه البيئة وعناصرها، لكي يؤدي وظيفته التي خلقه عز وجل لأجلها، ألا وهي تحقيق العبودية لله عز وجل.

إذن فكلاهما على علاقة وثيقة بالآخر، في إطار تحقيق غاية واحدة جليلة هي العبودية الخالصة لله تعالى، وتحقيق الاستخلاف.

ونستشف ذلك أيضا في وحدة حركة الإنسان والبيئة (الأرض)، ونجد ذلك واضحا في قوله تعالى: ﴿**هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل**﴾[2].

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط 08، دار الفكر، دمشق- سوريا، 1979م، ص 295.

[2] سورة غافر، الآية: 67.

هذا بيان لحركة الإنسان في حياته، فيبين تعالى أصل خلق الإنسان، وأنه من تراب، ثم أصبحت سلالته من ماء مهين، وبعد أن تستقر النطفة في الرحم، فتتطور إلى أن يخرج طفلا من رحم أمه- بإذن الله- ثم بعد فترة الولادة يبلغ، ثم يصل إلى درجة الكهولة، ثم تأتي مرحلة الشيخوخة، ثم يأتي الموت.

وكذلك حركة الأرض وسائر المخلوقات، فالحركة نفسها تقريبا موجودة في البيئة وعناصرها، وكمثال عنها، حركة النبات، حيث يقول تعالى: ﴿**ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما**﴾[1].

فعلاقة الوحدة بين الإنسان والبيئة وعناصرها في الغاية والحركة لله عز وجل، كما وضح القرآن والسنة، وأكد ذلك العلم الحديث، تدل على أن العلاقة علاقة تكامل.

وهذه العلاقة بدورها يكون لها عظيم الأثر في سلوك الفرد المسلم مع البيئة وعناصرها، وفق تعامل رشيد، وهذا ما لا نجده في الديانات والفلسفات الأخرى غير عقيدة الإسلام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] سورة الزمر، الآية: 21.

### الفرع الثالث: وحدة المآل والمصير:

إن الإنسان والأرض التي يحيا عليها، كلاهما ناشئ من عدم بإرادة الله عز وجل . مصداق قوله تعالى: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**﴾[1].

حيث يقول القرطبي في تفسيره للآية: «أي قدر كل شيء مما خلق بحكمته على ما أراد، لا عن سهوة وغفلة، بل جرت المقادير على ما خلق إلى يوم القيامة وبعد القيامة، فهو الخالق المقدر»[2].

فكما أن الإنسان والبيئة وعناصرها، مشتركان في المأتى، فهما مشتركين في المصير، فمصيرهما واحد، قال تعالى: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون**﴾[3].

فيقول سيد قطب في تفسيرها: «فكل شيء زائل، وكل شيء ذاهب، المال والجاه، والسلطان والقوة، والحياة والمتاع، وهذه الأرض ومن عليها، وتلك السماوات وما فيها ومن فيها، وهذا الكون كله ما نعلمه وما نجهله، كله هالك فلا يبقى إلا وجه الله الباقي منفردا بالبقاء»[4].

---

[1] سورة الفرقان، الآية: 02.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد، 13، ص 03.

[3] سورة القصص، الآية: 88.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج 05، ص 2716.

## المطلب الثاني: علاقة التكريم:

إن الفلسفات التي نادت بأن البيئة وعناصرها، مساوية للإنسان، وفي بعض الأحيان هي أعلا منه هي التي أنشأت عنها عبودية هذه الشعوب لعناصر البيئة، واتخاذ بعض عناصرها آلهة تعبد.

وهذا المبدأ يجعل انطلاقة الإنسان الحضارية في استثمار البيئة وتكوين حضارة يكاد ينعدم، وجعله حبيس عقيدته القائمة على تأليه عناصر البيئة، وتوقف أفعاله اتجاهها في تقريب القرابين.

في حين نجد العقيدة الإسلامية جعلت من علاقة الإنسان بالبيئة وعناصرها، تنشأ عنها حضارة وتنمية للبيئة وازدهار ورقي، ذلك أنها قررت رفعة هذا الإنسان وتكريمه عن البيئة وعناصرها، قال تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾[1].

ورشدت فعله في البيئة، فجعلته وسطا بين الله والأرض؛ فهو يأخذ تعاليمه من الله تعالى، لينفذها في البيئة وعناصرها، تحقيقا لمبدأ الاستخلاف.

ويقول في ذلك الطاهر بن عاشور: «فأما منة التكريم فهي مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية، وأما التفضيل على كثير من المخلوقات فالمراد به التفضيل المشاهد لأنه موضع الإنسان، وذلك الذي جماعه تمكين الإنسان من التسلط على جميع المخلوقات الأرضية برأيه وحيلته، وكفى بذلك تفضيلا على البقية»[2].

---

[1] سورة الإسراء، الآية: 70.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص 166.

## الفرع الأول: تكريم الإنسان من حيث الوجود والتكوين:

فأما التكريم من حيث الوجود، فيوضحه تعالى في قوله: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾[1].

وقد مثل الله عز وجل ، الإنسان قطبا وجوديا، من خلال تحمله للأمانة التي أبت السماوات والأرض احتمالها، فقال تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**﴾[2].

فوضح تعالى حقيقة وجود الإنسان وحياته، وأنها أرفع من حياة الكون جميعا، فهو المستخلف من الله تعالى في الأرض، وقد تحمل الأمانة- عمارة الأرض وعبادة الله، والتمكين لشرع الله في الأرض-، وهي أمانة عجزت السماوات والأرض والجبال عن حملها.

كما يظهر التكريم الوجودي للإنسان في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين**﴾[3].

فكان سجود الملائكة لآدم عليه السلام طاعة لله تعالى، وعدم سجود إبليس له، معصية لله، وبالتالي كان مصيره اللعنة والطرد من رحمة الله. وهذا يدل على تفضيل الإنسان وتكريمه على جميع الخلائق.

ومما يؤكد تكريم الإنسان من حيث التكوين، هو أن الإنسان في أصل خلقه هو قبضة من طين ونفخة من روح، قال تعالى: ﴿.. **إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي..**﴾[4].

---

[1] سورة البقرة، الآية: 30.

[2] سورة الأحزاب، الآية: 72.

[3] سورة الحجر، الآيات: 28-31.

[4] سورة الحجر، الآيات: 28-29.

فهذا الجمع بين المادة والروح يجعل الإنسان يشتمل على كل عناصر الوجود المادي الأرضي، والروحي السماوي، فلا هو روحاني خالص، ولا هو مادي حيواني خالص.

فحقيقة الإنسان، وأنه قبضة من طين ونفخة من روح، جعلته مكرم في وجوده وتكوينه على البيئة وعناصرها.

والعاقل يلمس أن حقيقة الإنسان في القرآن هي الأصوب والأحق، وأنها ترتفع عن نظرتين بخستا الإنسان حقه، وذلك لأنهما تطرفتا، فكل منهما أخذ على أن الإنسان هو واحد من الاثنين.

فنجد النظرة المادية اقتصرت على أن الإنسان مادة فقط، فكان ما كان من طغيان الإنسان وعتيانه فسادا في الأرض.

كما نجد نظرة الكنيسة المسيحية، التي نادت بأن الإنسان روح خالصة، فكانت رهبانية ابتدعوها، وخرجت بالإنسان عن حقيقته، فلم يؤد وظيفته التي وجد لأجلها وهي الاستخلاف وعمارة الأرض.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

### الفرع الثاني: التكريم بالعقل والعلم:

إضافة إلى تكريم الإنسان من حيث الوجود والتكوين عن البيئة وعناصرها، فكذلك الإنسان يتميز عن البيئة وعناصرها بفطرته الذكية، كما قال تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم...**﴾ فمن بين الأشياء التي فسر بها المفسرون الآية الكريمة، قالوا أن الإنسان كرم عن غيره بالعقل، وهي الصفة التي تعطي الإنسان التكريم المعرفي عن البيئة وعناصرها[1] ونجد ذلك مؤكدا في قوله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان**﴾[3].

كما نجد القرآن يؤكد صفة التعليم والعلم للإنسان، قال تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾[4].

وبالتالي، من خلال هذه النصوص القرآنية نخلص إلى أن من بين أهم مظاهر التكريم الإنساني عن البيئة وعناصرها، هي قضية العلم والعقل، أو التكريم المعرفي.

فبهذا يصبح الفرد المسلم مرشحا إلى التعامل الحسن والرشيد مع البيئة وعناصرها، وتحقيق شرع ربه على الأرض فتندثر علاقة الصراع بين الإنسان والبيئة، التي يدعو لها الغرب ويسير وفقها، وتأتي علاقة التوافق بين الإنسان والبيئة، فيعلم الفرد المسلم يقينا إنما هو مستخلف من الله في أرض الله، وهو عبد لله يجب عليه أن يحكم شرع الله في أرض الله، وتجب عليه عمارة الأرض بما أمر الله، فينتج عن ذلك استثمار للبيئة.

---

[1] عبد المجيد النجار ، قيمة الإنسان في العقيدة الإسلامية ، ط: 1 ، دار الزيتونة ، الرباط ، المغرب ، 1996 ، ص: 68.

[2] سورة العلق، الآيات: 1-4.

[3] سورة الرحمن، الآيات: 1-4.

[4] سورة البقرة، الآية: 30.

## المطلب الثالث: تسخير البيئة للإنسان:

استخلصنا فيما سبق، الوحدة الموجودة بين الإنسان والبيئة، ومظاهر تكريم الإنسان عن البيئة، وهي أمور متكاملة غير متناقضة، تكريم لا يناقض الوحدة، وإنما يوضح طبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة، وأكثر من ذلك تظهر علاقة الإنسان بالبيئة وعناصرها، بجلاء ووضوح من خلال أهم مظاهر تكريم الإنسان عن البيئة، وهي تسخير البيئة للإنسان.

فما هي حقيقة التسخير ؟ وما هي مظاهره ؟ وكيف يحافظ الإنسان على هذه العلاقة ؟ وما نتائجها ؟.

لذلك كله سنتناول هذه النقطة بشيء من التفصيل، لأنه من خلالها تتبين الصورة جلية موضحة علاقة الإنسان بالبيئة، وماذا يجب أن تكون عليه، ويتم بذلك التحديد الكلي لمكانة البيئة في العقيدة الإسلامية.

وقبل التطرق إلى أنواع التسخير، لابد من فقه مفهومه.

### أ- التسخير لغة:

جاء في لسان العرب: «السخرة ما تسخرت من دابة أو خادم بلا أجر ولا ثمن، وسخر تسخيرا، كلفه عملا بلا أجرة، وكذلك: تسخره، وسخره، يسخره، سخريا».

وسخره: كلفه ما لا يريد وقهره، وسخرت السفينة، أطاعت وجرت، وطاب لها السير.

والتسخير: التذليل، وقوله تعالى: ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض**﴾.

قال الزجاج: تسخير ما في السماوات: تسخير الشمس والقمر للآدميين وهو الانتفاع بها في بلوغ منابتهم، والاقتفاء بها في مسالكهم، وتسخير ما في الأرض، تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها»[1].

**ب- التسخير اصطلاحا:**

عرف بتعاريف كثيرة منها:

* أنه جريان الموجودات وفق القانون الإلهي قهرا، حتى ينتفع بها الإنسان.[2]
* أنه تذليل القوى الكونية، المادية والمعنوية، كما وكيفا لصالح الإنسان ذو المؤهلات.[3]
* وربما أدق تعريف وأجمعه للتسخير، وهو ما عرفه به ابن رشد في معرض حديثه عن دليل العناية، حيث يقول: «جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان، وكونها موافقة لوجود الإنسان، فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك تظهر أيضا موافقة كثير من الحيوان له والنبات والجماد»[4].

أما عن مظاهر تسخير البيئة وعناصرها للإنسان، فتنحصر في مظهرين رئيسيين هما:

**الفرع الأول: تسخير مادي:**

وهذا التسخير بدوره ينقسم إلى قسمين: انتفاعي وجمالي.

**1- تسخير انتفاعي:**

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، وآخرون، ج 03، دار المعارف، باب "سخر"، ص 2963.

[2] إحسان هندي ، قضايا البيئة من منظور إسلامي ، مرجع سابق ، ص: 63

[3] المرجع نفسه ، ص : 65.

[4] أبو الوليد بن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمد قاسم، ط 02، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1964م، ص 151.

ويبرز في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾[1]. ومنه استخلص المفسرون، أن خلق الأرض وإعدادها علي ما هي عليه سبق خلق آدم U، كما يقول عبد المجيد النجار: «... وإلا فكيف يكون الخطاب الإلهي بهذا الشكل إن لم توجد الأرض بعد، بمعنى أن الكون- وبالقدرة الإلهية- بني على قوانين كمية وكيفية، تناسب تماما الكيان الإنساني، فكأنما وضع لاستقبال الإنسان وخلق لغاية وجوده»[2].

فتسخير البيئة وعناصرها من الناحية المادية، هو لأجل انتفاع الإنسان بها، لأداء أمانة الاستخلاف فوق الأرض واستمرار حياته.

فتسخير الشمس والقمر هما عنصران من عناصر البيئة غير الحية (المادية) لانتفاع الإنسان بهما في حياته. قال تعالى: ﴿**وسخر لكم الشمس والقمر دائبين**﴾[3].

وعن تسخير البيئة الحيوانية، لينتفع الإنسان بها يقول تعالى: ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون**﴾[4].

وعن تسخير البيئة المائية، نجد القرآن الكريم، يوضح لنا مدى انتفاع الإنسان بالماء الذي هو عنصر الحياة لديه، فمنه يكون النبات ومنه تكون البيئة الحيوانية، ولولاه لمات كل شيء.

وإلى جانب الماء الذي ينتفع به الإنسان في حياته، نجد البحار، هذه المسطحات المائية الواسعة التي خلقها تعالى لتوازن البيئة واستمرار الحياة بها، نجد القرآن يصورها لنا في مشهد بيئي غني، هو كله منافع عديدة للإنسان.

يقول تعالى: ﴿**وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**﴾[1].

---

[1] سورة البقرة، الآية: 30.

[2] عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ط 01، دار الزيتونة للنشر، الرباط- المغرب، 1996م، ص 75.

[3] سورة إبراهيم، الآية: 32.

[4] سورة النحل، الآية: 05.

## 2- تسخير جمالي:

إن أصل التسخير المادي للبيئة هو الانتفاع منها لاستمرار الحياة، لكن هناك معنى آخر من التسخير المادي للبيئة، وهو أن يشهد الإنسان مدى التنوع والاتساع الهائل في هذه البيئة الأرضية وعناصرها.

فالبيئة وعناصرها على امتداد الكرة الأرضية عبارة عن مشاهد رائعة في الجمال. فهي لوحات طبيعية من صنع الخالق عز وجل، تهدأ لها النفس وتستقر بالنظر وإعمال العقل فيها، وتهتدي بها إلى الحق.

إن البيئة الجوية وما تحويه ابتداء من زرقة السماء وتزينها بنور الشمس صباحا، ونور النجوم والقمر ليلا ليخلق لوحة رائعة في الجمال تهدئ النفس وتهديها.

وإن البيئة النباتية على اتساعها وتنوعها، لتغمر المتأمل فيها بالانبهار وتزرع فيه السكينة وتشرح صدره وعقله، ولكم كانت لذلك، مواضيع لشعراء كثيرين يتحدثون عن هذا الجمال الباهر للأرض، وكم كانت لوحات خلابة للرسامين.

وكذلك عن البيئة الحيوانية والبيئة البحرية، حتى إن علماء النفس أقروا بأن النظر إلى خضرة النباتات وزرقة البحر، هما في حد ذاتها شفاء من كثير من الأمراض النفسية.

---

[1] سورة النحل، الآية: 14.

**الفرع الثاني: تسخير معرفي:**

يقول عز وجل : ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾[1].

إن هذه الآية الكريمة، ترسم لنا الحقيقة الثانية لتسخير الأرض للإنسان، الذي هو تسخير معرفي.

فالإنسان كائن عاقل ذو مميزات في هذا الوجود، وجد على الأرض ليتعلم ويتدبر ويستزيد منها؛ من ناحية الاكتشاف والاستثمار.

فالبيئة وعناصرها مليئة بالسنن والقوانين الإلهية، التي أودعها الله تعالى فيها، وهي لا تتكشف إلا لمن فتح الله عليه بالعلم، فبالعلم يكتشف الإنسان السنن والقوانين الكونية، ولا يقتصر ذلك على المسلم، بل من سار في مجال العلم وسار وفق السنن الكونية كان له الاكتشاف مسلما كان أم كافرا.

لذلك فالتسخير المعرفي للبيئة وعناصرها، ليس محصورا على المسلم فقط؛ وهذا ما يفسره لنا التطور التكنولوجي الذي وصل إليه الغرب، في مجالات العلوم الطبيعية المتنوعة من جيولوجيا، وجغرافيا، وطب، وعلوم الأحياء إلى غير ذلك من العلوم.

فكأن القرآن الكريم يصور لنا البيئة وعناصرها، بأنها مدرسة يتعلم فيها الإنسان ويستزيد منها معرفيا، لذلك جاء في خواتيم كل الآيات القرآنية التي تحث الإنسان على التدبر في السماوات والأرض، ما يفيد التعلم وطلب المعرفة: "انظروا، أفلا ينظرون، ألم يروا، يبصرون، يسمعون، يتفكرون، يعقلون، يعلمون...".

واستزادة الإنسان معرفيا من البيئة وعناصرها والتماسه للسنن والقوانين الكونية، فتحت له أبواب العلوم والاكتشافات، فطور وأبدع في ذلك، ووصل البعض منهم بالتسخير

---

[1] سورة النحل، الآية: 78.

المعرفي للبيئة، إلى فقه حقيقة الكون، وأن للكون خالق هو الله تعالى، وكانت ثمار ذلك أن اهتدوا وأسلموا.

لذلك كان من الأجدر بنا نحن المسلمون أن نأخذ بالوصايا الربانية، فيكون التطور التكنولوجي والاكتشافات العلمية من علماء المسلمين، كما حقق ذلك أسلافنا الأوائل، لا أن نعيش في ظلام الجهل والتخلف عن الركب الحضاري، ووسائل الاستنارة والمعرفة عندنا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المطلب الرابع: دور التأمل في البيئة وأحوالها في زيادة الإيمان:

ذكرنا فيما سبق علاقة الإنسان بالبيئة وعناصرها، من حيث علاقة الوحدة، والتكريم، وكذا تسخير البيئة للإنسان.

ونورد في هذا المطلب العلاقة الحميمية الطيبة بين البيئة وعناصرها، والإنسان المسلم، هذه العلاقة (المعنوية) التي لم تتطرق لها كل التشريعات والفلسفات والديانات، من دون الشريعة الإسلامية، والعقيدة الإسلامية.

هذه العلاقة التي أوضحها لنا القرآن الكريم في أكثر من آية، والحديث النبوي الشريف في أكثر من حديث.

يريد الله عز وجل من خلالها، أن يوضح لعبده المؤمن بأن هذه الأرض والسماء التي يحيا فيها وعليها إنما هي مخلوق مثله، خاضعة لله تعالى خلقا وتدبيرا ومصيرا، فلا ييأس المسلم إذن، ولا يظن أنه وحده في هذا الوجود يحمل أمانة تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، بل إن هذه البيئة وعناصرها معه عابدة خاضعة لله تعالى.

### الفرع الأول: عبودية البيئة لله تعمق الإيمان في قلب المسلم:

لقد أخبرنا القرآن الكريم في آيات عديدة، والحديث الشريف في أحاديث عديدة على أن البيئة وعناصرها متوجهة لله تعالى بالعبودية الخالصة والطاعة التامة.

فأخبرنا عن طاعة الأرض والسماء لله تعالى، ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين**﴾[1].

ويورد القرطبي قول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: «قال ابن عباس قال الله تعالى للسماء، أطلعي شمسك وقمرك وكواكبك، وأجري رياحك وسحابك، وقال

[1] سورة فصلت، الآية: 11.

للأرض شقي أنهارك وأخرجي شجرك وثمارك، طائعتين أو كارهتين، ﴿**قالتا أتينا طائعين**﴾، وفي الكلام حذف أي أتينا أمرك طائعين»[1].

ولقد أخبرنا القرآن والسنة، عن الكون، يسبح الله تعالى، ويسجد له، ويطيعه. فقال تعالى: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾.

وفيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان إذا سمع الرعد والصواعق قال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده».

وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ويقول: إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض»[2].

فعندما يستحضر المسلم هذا الأمر، وهذا المنظر الرباني الذي تخشع له القلوب وتلين، عندما يستحضر صورة هذه البيئة وعناصرها، التي تنبض بالحياة والحركة والعبادة لله وحده لا شريك له، فكل حصاة وكل حجر وكل حبة وكل ورقة وكل زهرة وكل ثمرة وكل نبتة، وكل حشرة وكل شجرة، وكل حيوان، وكل سابحة في الماء والهواء، كلها تسبح وتتوجه إلى الله وحده لا شريك له[3]. يقوى إيمانه، وتزيد طاعته لخالقه.

ويقول عز وجل مؤكدا ومبينا ذلك: ﴿**ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب، ومن يهن الله فما له من مكرم، إن الله يفعل ما يشاء**﴾[4].

وفي تفسير الآية يقول ابن كثير: «يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة، وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها، وقوله: ﴿**والشمس والقمر والنجوم**﴾ إنما ذكر

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 15، ص 344.

[2] رواه الإمام مالك في الموطأ، والإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب.

[3] جمعة أمين، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، مرجع سابق، ص 172.

[4] سورة الحج، الآية: 18.

هذه على التنصيص لأنها قد عبدت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها وأنها مربوبة مسخرة»[1].

وما رواه أصحاب السنن أن صحابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت، فسجدت الشجرة لسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وضع عني بها وزرا، واجعلها لي عندك ذخرا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبد داوود، قال ابن عباس فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدة، ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبر الرجل عن قول الشجرة»[2].

فهذه مظاهر ومشاهد للبيئة وعناصرها، في عبودية خالصة لله تعالى.

حينما يفقهها المسلم عبر القرآن والسنة يزداد إيمانه، ويقوى.

وسيزداد إيمان الفرد المسلم ويقوى حينما، يسمع أن من عناصر البيئة من كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم في بداية بعثته، في حين كفر به البشر الجاحدون.

عن جابر ابن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن ابعث، إني لأعرفه الآن»[3].

هذا وقد تعددت البيئة وعناصرها ذلك، كما أخبرنا القرآن الكريم، وجاء في السنة، أن السماء والأرض تفرح للعبد المؤمن وتحزن لحزنه، وأنها لا تأبه لفرح الكافر أو حزنه، وهذا ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**﴾[4].

عن ابن كثير: «روى ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: أتى ابن عباس- رضي الله عنهما- رجل فقال: يا أبا العباس، أرأيت قوله تعالى: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ قال: نعم، إنه ليس أحد من الخلائق إلا

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 03، ص 622.

[2] رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن حبان.

[3] رواه مسلم برقم: 2277، وأحمد في المسند، ج 05، تحت رقم: 8995.

[4] سورة الدخان، الآية: 29.

وله باب في السماء، منه يترل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه في السماء الذي كان يصعد فيه عمله ويترل منه رزقه بكي عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله عز وجل فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير، فلم تبك عليهم السماء والأرض»[1].

[1] الحافظ بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، مج 04، ص 182.

## الفرع الثاني: البيئة وسيلة عقاب لمن طغى عن منهج الله تعالى:

كما علمنا فيما سبق، وأن البيئة وعناصرها، خاضعة لله تعالى، عابدة له وحده لا شريك له، وأنها في انسجام مع الفرد المسلم، تمشي معه في توافق وتناغم، طاعة لله عز وجل.

هذه الطاعة، وهذا التسبيح الدائم لعناصر البيئة، لله تعالى، يعمق الإيمان في قلب المسلم أيما تعميق، ويربطه بالبيئة، فيصبح لا يراها ذلك الجماد، الساكن، لكن يصبح يرى البيئة وعناصرها، ذلك الكائن الحي، العابد لله تعالى، المسبحة له.

فيقوى إيمان الفرد المسلم.

وكما أخبر القرآن والسنة، على أن البيئة تفرح بالعبد المؤمن وتحزن لحزنه، فقد أخبرنا القرآن والسنة كذلك، عن الصنف المقابل، صنف الكفرة الملحدين، فكان تسخير الله تعالى لهذه البيئة وعناصرها كوسيلة عقاب لهم.

فعن قصة فرعون، الذي طغى وتجبر، ووصل به الإلحاد والإنكار، إلى أن ادعى لنفسه الألوهية، كان عقابه من جنس عمله، إذ أخذه الله عز وجل أخذ عزيز مقتدر، فأغرقه في اليم هو وجنوده، ليعلم أنه مهما بلغ ملكه وقوته وجبروته في الأرض، فهو لا شيء أمام أمر الله خالق السماوات والأرض، حيث يقول تعالى: ﴿**ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى، فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم، وأضل فرعون قومه وما هدى**﴾[1].

ومنه يعتبر الفرد المسلم، وتقوى علاقته بربه عز وجل ويزداد إيمانه.

ولنا كذلك في قصة صاحب الجنتين، المذكورة في سورة الكهف، حينما اغتر بغناه وخرج عن منهج الله، فلم يقابل النعمة بالشكر والإيمان، على الرغم من تذكير صاحبه الفقير، الغني بإيمانه بالله تعالى، فماذا كان، ما هي إلا لحظات حتى طمس على تلك الجنتين، فكأنهما لم تكونا أصلا، قال تعالى: ﴿**وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها**

---

[1] سورة طه، الآيات: 77-79.

**وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا﴾**[1].

وما الأعاصير التي تضرب دول الكفر والإلحاد في وقتنا الحالي إلا خير دليل، فلقد رأينا ما حصل لجنوب الولايات المتحدة الأمريكية في هذا العام، حيث ضربتها أربعة أعاصير متتالية، لم تحدث في ما سبقها من السنوات الطوال، فكان ذلك عقابا من الله تعالى، لدولة طغت عن منهج الله، فزاغت وأزاغت وظلمت وتجبرت وأفسدت في البيئة أشد الفساد.

فحينما يرى المسلم ذلك، ويتأكد من القرآن والسنة، أن البيئة وعناصرها مسخرة من الله، كأداة لعقاب المتجبرين والطغاة، فإنه يزداد إيمانه بالله تعالى وقدرته وسعة علمه، بل ويصبح في توافق وانسجام مع هذه البيئة الطائعة العابدة لله عز وجل .

حتى إنه الله عز وجل ، لما أراد توصيل فكرة الإيمان ومدى فلاحها لو يأخذ بها العبد المسلم فإنه سينجح في الدنيا ويفلح في الآخرة، وأراد تصوير فكرة الكفر والانحراف عن منهج الله، ومدى خسرانها لو انحرف العبد لها، فإنه سيخسر في الدنيا والآخرة.

فصور تعالى فكرة الإيمان وكلمة الإيمان الطيبة بالشجرة الطيبة اليانعة، التي تؤتي ثمارها وظلالها بإذن ربها وهي نفع عام للناس جميعا، وعلى عكسها فكرة الكفر والضلال، وكلمة الكفر الخبيثة، صورها كالشجرة الخبيثة العقور، الجدباء الجوفاء التي لا خير من بقائها على وجه الأرض، فاجتثاها وجعلها حطبا للنار أولا بها.

فكان تصويرا رائعا، تتقبله النفس المؤمنة بالله تعالى فيزداد إيمانها ويقوى لكي تصبح مثل الشجرة الطيبة، ويبتعد عن غواية الكفر والضلال بما يستطيع، خشية أن يكون مثل الشجرة الخبيثة التي أصبحت وقودا للنار- والعياذ بالله-.

قال تعالى: ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم**

---

[1] سورة الكهف، الآيات: 43-44.

**يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء﴾**[1]

وفي نهاية هذا الفصل تتبين لنا وبجلاء المكانة العظيمة للبيئة وعناصرهافي العقيدة الإسلامية ، فهي مخلوقة لله عزوجل، عابدة مسبحة له، وهي ميدان الإستخلاف للإنسانن متوافقة معه ومسخرة له لأداء أمانته كما شرع له ربه عزوجل، كما أنها وسيلة الإمتحان الذي أراده الله عزوجل من وراء خلق الإنسان، فان أعمرها عمارة طيبة كان من الفائزين، وان أفسدها كان من الخاسرين .

وقد جاءت العقيدة الإسلامية لتوضح للإنسان المسلم ذلك، وتربطه بخالقه سبحانه عبر العبودية الخالصة، التي من أهم أسسها العمارة الطيبة للأرض.

فيتبين لنا بذلك أن البيئة في العقيدة الإسلامية بيئة مصانة من الفساد والدمار، مما يتطلب منا البحث في حقيقة الفساد البيئي وأسبابه الأساسية وهذا ما سنتناوله في الفصل الثاني

[1] سورة إبراهيم، الآيات: 24-27.

## الفصل الثاني: الفساد البيئي: أسبابه، ونتائجه وآثاره

نود عبر هذا البحث بيان حقيقة الفساد البيئي أو ما يسمى التلوث البيئي، حيث أن موضوع بحثنا يفرض علينا أن نفهم هذه الظاهرة ونحيط بها علما من جميع جوانبها. فبعد أن تناولنا مكانة البيئة في العقيدة الإسلامية، واستخلصنا أنه قائم على بيان حقيقتها، والتعامل الرشيد معها.

كما علمنا نظرة العقيدة الإسلامية للبيئة، التي وضحت أن البيئة مخلوق لله تعالى، مسخرة للإنسان، وهما- أي البيئة والإنسان- في توافق وانسجام أساسه تحقيق الاستخلاف وعمارة الأرض، وتحقيق العبودية الخالصة لله وحده لا شريك له.

فمكانة مثل مكانة البيئة وعناصرها في العقيدة الإسلامية، من المستحيل أن ينتج عنها الفساد البيئي، بل هي برنامج بيئي متكامل، يحافظ على البيئة بكل عناصرها، ويصونها من الفساد.

وبالتالي يتأكد لنا أن الفساد البيئي ناتج عن التصورات النابعة عن الفكر الفلسفي بكل أشكاله، والأديان الأخرى المحرفة، ونابعة عن الفكر البشري الوضعي.

ولقد أوضح لنا الله عز وجل ذلك توضيحا مفصلا؛ بل بين لنا السبب الرئيس في ظهور هذه المشكلة العويصة التي أصبحت شبحا أكثر ضراوة من الحروب والمجاعات.

حيث يقول تعالى: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا، لعلهم يرجعون، قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل، كان أكثرهم مشركين**﴾[1].

إنها لقاعدة ربانية عظيمة، وسنة إلهية جارية في خلقه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وضحت وبجلاء سبب الأسباب في بروز ظاهرة الفساد البيئي، حيث يقول سيد

[1] سورة الروم، الآيات: 41-42.

قطب في تفسير الآية: «فظهور الفساد هكذا واستعلاؤه لا يتم عبثا، ولا يقع مصادفة، إنما هو تدبير الله وسنته، ﴿**ليذيقهم بعض الذي عملوا**...﴾ من الشر والفساد»[1].

ويقول في ذلك وهبة الزحيلي: «أي: عم العالم ظهور الخلل والانحراف وكثرة المضار، وقلة المنافع ونقص الزروع والأنفس والثمرات، وقلة المطر وكثرة الجذب والقحط والتصحر بسبب شؤم معاصي الناس، وذنوبهم من الكفر والظلم وانتهاك الحرمات ومعاداة الدين الحق... والاعتداء على الحقوق»[2].

فهذا بيان إلهي عظيم، يوضح أن الفساد البيئي ناتج عن الكفر، والضلال عن دين الحق، وسنبين ذلك، وهو صلب ما نصبوا إليه وأن السبب الرئيس في ظهور الفساد البيئي أساسه الكفر والضلال والانحراف عن دين الحق، وسيتضح لنا ذلك من خلال تناول أسباب الفساد البيئي.

- فما حقيقة الفساد البيئي ؟ وما هي أسبابه سواء الفكرية أو المادية ؟ وما هي نتائجه وآثاره على البيئة وعناصرها ؟.

وقبل التطرق إلى الأسباب والنتائج والآثار للفساد البيئي، لابد من بيان حقيقة الفساد البيئي أو ما يعرف: بالتلوث البيئي.

*** مفهوم التلوث البيئي:**

**1- لغة:** من "لوث"، جاء في لسان العرب: التلوث: تصريخ القمة في الإهالة و "لوث الماء" بمعنى كدره، أي جعله كدرا غير صالح للاستعمال[3].

هذا من حيث مصدر اللفظ، وهو يدل عموما على مخالطة البيئة وعناصرها بأشياء تخرجها من صلاحها إلى فسادها وضررها.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 5، ص 2773.

[2] وهبة الزحيلي، التفسير المنير، مرجع سابق، ج 21، ص 98.

[3] أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، تهذيب لسان العرب، تأليف علي مهنا وآخرين، ج 02، باب اللام، مصدر "تلوث"، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 01، 1993م، ص 523.

ويمكن تصنيف لفظة "التلوث" لغة إلى صنفين:

* تلوث مادي: وهو اختلاط أي شيء غريب عن مكونات المادة بالمادة، يقال: لُوِّث الماء بالطين أي: كُدِّر.

* تلوث معنوي: كأن تقول: تلوث لفلان رجاء منفعة، أي لاذ به[1].

وبالجمع بين الشقين يمكن القول أن التلوث هو فساد الشيء أو تغير خواصه، وهو معنى يقارب المعنى العلمي الحديث للتلوث.

**2- اصطلاحا**: التلوث: «إفساد مكونات البيئية، حيث تتحول هذه المكونات من عناصر مفيدة إلى عناصر ضارة (ملوثات) بما يفقدها دورها في صنع الحياة، وبصفة عامة يمكن القول أن التلوث صورة من صور الفساد التي أشار إليها القرآن الكريم»[2].

والتلوث ينتج أساسا: «عن تدخل الإنسان في قوانين البيئة التي سنها الخالق عز وجل، وإخلاله بتوازن عناصرها ومكوناتها»[3].

إذن، فالتعريفين اللغوي والاصطلاحي، يجتمعان في أن التلوث هو الإفساد في مكونات البيئة وعناصرها.

لذلك لم يبلغ أي تعريف للتلوث البيئي، مبلغ ما عرفه به القرآن الكريم، وهو الفساد ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر...**﴾ فقد كان مفهوما مانعا للمصطلح أو للظاهرة عموما.

---

[1] المرجع السابق، ص 523.

[2] محمد عبد القادر الفقي، البيئة ومشاكلها وقضاياها، مكتبة ابن سينا، القاهرة- مصر، 1993م، ص 31.

[3] محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة، ط 01، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 1999م، ص 86.

## المبحث الأول: أسباب الفساد البيئي

بما أن الفساد البيئي، أو عملية الإفساد في حد ذاتها شيء عملي، فهي حتما ناتجة عن خلفية فكرية.

لذلك كانت أسباب الفساد البيئي تتخلص في محورين هما: الأسباب الفكرية، والأسباب المادية.

### المطلب الأول: الأسباب الفكرية:

وهي كما قلنا الخلفية التي يبنى عليها السلوك والعمل الذي أنتج الفساد البيئي. ونلخصها هنا في ثلاثة أسباب، نرى أنها الأساس في ذلك وهي:

#### الفرع الأول: فكرة الصراع:

ان فكرة الصراع بين الإنسان والبيئة ممتدة جذورها في العهود الأولى للإنسان على الأرض، وناتجة عن انحراف الإنسان عن ترشيد الوحي . فقد كان الإنسان في تلك العصور خاضعا لمظاهر الطبيعة، خاضعا للبيئة وعناصرها. وأبرز جانب التعبد لديه من خلالها- فكان عبدة الشمس والقمر والنجوم، والريح والأنهار وكان عبدة الحيوان والأشجار.

وقد أخبرنا عنهم القرآن، وضرب لنا مثلا، قصة قوم بلقيس، الذين كانوا يعبدون ويسجدون للشمس من دون الله، قال تعالى: ﴿**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون**﴾[1].

ولا زال من أمثال هؤلاء الضالين، إلى يومنا مثلما يجري في الهند وأدغال أمريكا الجنوبية وأدغال إفريقيا واستراليا.

وبعد تطور التفكير البشري، وتمكنه من فهم قوانين البيئة وسننها، تغيرت العلاقة بين الإنسان والبيئة، من علاقة خوف وخضوع إلى علاقة استغلال واستتراف وتجبر، وأصبحت

---

[1] سورة النمل، الآية: 24.

العلاقة علاقة صراع واستتراف بشع لعناصر البيئة، من أجل تحقيق سعادة الإنسان، وإشباع كل غرائزه وميولا ته دون الاكتراث بالبيئة أو معاملتها بأسلوب رشيد، ومنه قامت نظريات فلسفية، أساسها فكرة الصراع وتجلت في فلسفة "نيتشه"[1]. التي كانت ترمي إلى الصراع مع كل شيء، مع الأخلاق والدين وكل شيء في الوجود، بما في ذلك الصراع مع البيئة وعناصرها، ولازالت جذور هذه الفلسفة ممتدة إلى يومنا، وقد ازدهرت في القرن العشرين، عصر النهضة الأوروبية، لذلك لا نتعجب إذا تقصينا التاريخ في تلك الفترة وما تميزت به علاقة الإنسان الأوروبي بالبيئة، حيث كان تعامله معها وحشيا، فكانت بداية الفساد البيئي وإضرار البيئة على أوسع نطاق.

ولا نحصر فكرة الصراع في الجانب الفلسفي فحسب، بل للأديان المحرفة وخاصة اليهودية، اليد الطولى في ذلك، في ترسيخ هذه الفكرة لدى أتباعها.

فعندما نتفحص كتاب اليهود المقدس- العهد القديم- وبالأخص الأسفار الخمس التي تسمى: التوراة، نجدها تصف الأرض بأخس الصفات، وتزرع بذور الصراع بين الإنسان وعناصر البيئة، وتغرس في الإنسان عقيدة الكراهية والإفساد والتسلط على البيئة بكل عناصرها، ويظهر ذلك من خلال سفر التكوين وإصحاحاته الأولى.

حيث جاء في سفر التكوين في الإصحاح الأول ما يلي: «وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها وبهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها، وكان كذلك فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات لأرض كأجناسها، ورأى الله ذلك أنه حسن، وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض، وجميع الدبابات التي تدب على الأرض، فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى- فخلقهم

---

[1] فريديريك نيتشه، فيلسوف ألماني، مؤسس فلسفة القوة، ومن أعظم الفلاسفة تأثيرا في القرن العشرين، ولد سنة، 1849م وتوفي سنة 1900م، انظر: موسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي، ج 02، ص 508-509.

وباركهم الله، وقال لهم أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض»[1].

فهذه إذن نظرة الكتاب المقدس لليهود للبيئة وعناصرها، نظرة احتقار وإذلال، وأن البيئة وجدت لهم ليتسلطوا عليها وينهبوا خيراتها ويفسدوا فيها كيفما شاءوا، لذلك لا نستغرب من سلوك الغرب مع البيئة بكل وحشية وطغيان، فالغرب، يهوديهم ومسيحيهم كلهم عقيدتهم واحدة، علاقتهم مع البيئة وعناصرها قائمة على الصراع.

فهذه الأديان لازالت إلى يومنا، وهذه الفلسفات لازالت قائمة إلى وقتنا، لذلك تعتبر أسبابا فكرية، ساهمت ولازالت تساهم في الفساد البيئي.

فأي إنسان يجد كتابه المقدس يدعوه إلى التسلط على البيئة وعناصرها والطغيان عليها والصراع معها بهمجية لا مثيل لها، لا تحكمه بعد ذلك قوانين ولا تردعه عن إفساده في الأرض روادع، وهذا ما يعيشه الغرب وعلى رأسهم اليهود- أمة الإفساد في الأرض-.

[1] العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الأول، فقرات: 24-28.

## الفرع الثاني: فكرة الخطيئة والتوبة عند اليهود والنصارى:

بعدما مر بنا من توضيح لفكرة الصراع بين الإنسان والبيئة، والمستمدة حتى من الكتاب المقدس، الذي يمثل عقيدة اليهود والنصارى.

نوضح من خلال هذا الفرع نقطة لا تقل أهمية عن سابقتها، إذ أنها علامة زيغ وانحراف في الفكر الغربي اليهودي النصراني، وفي دينهم الذي طالته يد التحريف والتغيير، عبر كتبهم المقدسة.

هذه الفكرة هي: فكرة الخطيئة والتوبة عند اليهود والنصارى، إذ أن هذا الفرد اليهودي والنصراني، الذي يسعى فسادا في الأرض، ولا يهمه شيء إلا أن يلبي رغباته فحسب، هل لديه تصور حول فكرة الخطيئة أم ليس له تصور، وهل لديهم فكرة التوبة من الخطيئة، كما هو موجود في عقيدتنا الإسلامية، أم لا يوجد ذلك أصلا ؟.

إن عقيدة اليهود، التي تنطلق من أن اليهود هم شعب الله المختار، وباقي المخلوقات إنما هي مسخرة لهم، يستعملونها كيف ما شاءوا ومتى شاءوا وبأي وسيلة أحبوا، من أجل خدمة أهدافهم وعيشهم حياة رغدة.

هذه العقيدة لا يوجد فيها معنى للخطيئة، كما هو موجود لدينا ومتعارف بيننا نحن المسلمون، وبين العقلاء من الناس، وبالتالي شعب هذه عقيدته، سيسعى حتما يفسد الأرض ويطغى فيهان كما هو حاله في القديم والحاضر وحتى في المستقبل، لأنه في عقيدته لا توجد خطيئة عنده، أي لا خطيئة له، لأنه شعب الله المختار، وبالتالي لا توجد أساسا فكرة التوبة من هاته الخطيئة.

فماذا تنتظر من أمة هذه عقيدتها وهذا فكرها، غير الإفساد في الأرض، وتدمير الحرث والنسل.

والواقع خير دليل عبر التاريخ البشري حول إفساد أمة بني صهيون، وما جرته، ولا تزال تجره على الأرض والإنسانية جمعاء.

وعقيدة النصارى، المبنية على عقيدة الخلاص، وأن المسيح عليه السلام جاء مخلصا لأتباعه من الخطيئة التي ارتكبها، أبو البشرية آدم عليه وسلم وقد صلب لأجل ذلك.

لذلك تجد الفرد منهم يرتكب الآثام والفجور، والجرائم، ثم يأتي يعترف بها في الكنيسة على يد الرهبان، فيرشه بالماء، وبذلك قد غفر له ذنبه وإجرامه.

هذه العقيدة، ولدت أمة تفسد في الأرض، وتدمر الكائنات والمخلوقات، لأنها تعلم أنها سوف تذهب إلى الكنيسة، فيتولى القسيس بطقوسه غفرانها، وبالتالي لا خطيئة عليهم.

فكيف ننتظر من أفراد هذه عقيدتهم، أن يرهبوا من فعل الخطيئة، التي من أعظمها إفساد الأرض، وتدمير البيئة وعناصرها.

فبساطة مغفرة الخطيئة، يؤدي إلى بساطة الخطيئة نفسها، لذلك لا رادع للغرب من الإفساد في الأرض في هذا المجال.

ويا لسماحة الإسلام وعظمته، وريادته، إنه دين الوسطية والاعتدال، إنه الدين الحق على وجه المعمورة والوجود جميعا.

إن نظرة الإسلام للخطيئة والتوبة نظرة وسط، نظرة معتدلة، تجاوزت إفراط اليهود الذين ليس في قاموسهم خطيئة ولا توبة، فهم شعب الله المختار، كما تجاوزت تفريط النصارى، الذين استهانوا بالخطيئة، وجعلوا رجل الدين ينوب عن الله في غفرانها، فتغفر الذنوب والخطايا العظام، ببساطة لا تتعدى الرش بالماء.

فكانت نظرة الإسلام للإنسان على أنه مستخلف من الله في أرض الله، فإعماره لها أداء لدوره، وإفساده فيها من أعظم الخطايا، التي سوف يحاسب عليها حسابا شديدا يوم القيامة وفتح الإسلام باب التوبة من الخطايا، وجعله مرتبطا بالله عز وجل، لا بالبشر، فالله هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

ومن شروط التوبة الإقلاع عن الخطيئة، عن خطيئة الإفساد في الأرض، وعمل الحسنات، القيام بإعمار الأرض واستثمارها.

كما ترسخ في عقل المسلم وقلبه، أن الخطيئة إذا ارتكبها فرد، فلا يتحمل وزرها غيره، ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

والتوبة كذلك فردية، وتكون عن إخلاص لله تعالى، رغبة في رحمته وطمعا في مثوبته، وخوفا من عقابه.

لهذا كله، كانت فكرة الخطيئة والتوبة عند اليهود والنصارى، من أهم الأسباب الفكرية التي أدت إلى الفساد البيئي، وأنتجت لنا شعوب فساد في الأرض.

كما كانت فكرة الخطيئة والتوبة في الإسلام، من أهم الأسباب العقدية الإسلامية، التي أرشدت الفكر الإنساني المسلم، وجعلته على علاقة طيبة مع البيئة وعناصرها فأنتجت لنا أمة الحضارة والإعمار.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفرع الثالث: التصور المادي للوجود:

المادية كمصطلح فلسفي، تقابل المثالية وتوصف بها اتجاهات وفلسفات عديدة تشترك في القول بأن الأصل في الموجودات هو المادة، لا الروح أو العقل أو الشعور، والتي ترمي إلى أن الكون هو كل واحد، مآله المادة[1].

هاته النظرية التي أسس لها الفكر الماركسي، الذي قعد له كل من ماركس[2] وإنجلز[3]، حيث تتعامل مع البيئة من خلال منطق مادي لا يؤمن بوجود خالق للكون، وفي هذا شاعت مقولة الشيوعيين الماركسيين الملحدين "لا إله والحياة مادة"، كما تتعامل مع البيئة وعناصرها على أنها لا توجد غاية من وراء وجودها.

إذن، نظرية مثل هذه، تجعل الوجود كله واحد، وهو منبثق من المادة، وتؤمن بأن البيئة وعناصرها جميعا ليس لها خالق، ولا غاية من وجودها.

كيف يكون سلوكها مع البيئة ؟ وكيف تكون تحديداتها لعلاقة الإنسان بالبيئة وعناصرها؟. خاصة وأنها تؤمن بأن الإنسان مجرد انبثاق عن المادة- فلا بعث ولا حساب- فحتما سيكون ذلك الاندفاع الجنوني في تعامل الإنسان مع البيئة وعناصرها، وسيستترفنا أبشع استتراف.

وقد كان ذلك التعامل واقعا، وإن التاريخ ليشهد كيف عامل هؤلاء البيئة وعناصرها، وألحق بها الأضرار الجسيمة، ولازال كذلك إلى يومنا.

فهذه حقيقتهم، وهذه خلفياتهم الفكرية، فكيف يزعمون بعد ذلك أنهم حماة للبيئة ؟!.

فالنظرة المادية للوجود، التي تقيم علاقة الإنسان بالبيئة على أساس التناقض والصراع. منطلقها في ذلك أن البيئة شحيحة بمواردها التي لا تكفي لإشباع كل رغبات الإنسان،

---

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ط 2، ج 02، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 1984، ص 407.

[2] كارل ماركس، مفكر اقتصادي، وسياسي ألماني، ولد سنة 1818م، وتوفي سنة 1883م، تنسب إليه وإلى إنجلز نظرية المادية الجدلية، انظر: موسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي، ج 02، ص 418.

[3] فريديريش إنجلز (1820م-1895م)، رائد الفلسفة المادية مع ماركس، والمقعد لها، انظر: موسوعة الفلسفة، ج 02، ص 418.

الذي أصبح عليه أن ينتزع منها أقصى ما يستطيع من موارد حتى ولو أدى هذا إلى إهدار مواردها وإصابتها بالتلوث.

ونظرية المادية الجدلية التي تبني اقتصادها على الجانب المادي فحسب، تصبح بعد ذلك متجاوزة كل الأخلاق والقيم، مدمرة كل ما يقف في طريقها لأجل تحقيق غايتها المادية، مستغلة في ذلك البيئة بعناصرها الحية وغير الحية، بما في ذلك الإنسان نفسه، لا فرق عندها بين هذه العناصر، فالمهم هو الربح والتطور، ولو دمرت الحياة البشرية.

وما نخلص إليه من خلال الأسباب الفكرية، وبعد عرضنا لهذه الأسباب الرئيسة الثلاثة، يتضح لنا أن المتسبب في الفساد البيئي هم من ضلوا عن طريق الحق، وتجاوزوا الوحي الإلهي وانحرفوا عنه، لذلك ختم الله تعالى الآية الكريمة، بفتح باب الرحمة والتوبة فقال عز وجل: ﴿... **لعلهم يرجعون**﴾.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المطلب الثاني: الأسباب المادية:

ونقصد بالمادية هنا السلوك الإنساني، في تعامله مع البيئة وعناصرها، من أجل إقامة وإشباع رغباته.

ونلخصها في نقطتين هما: استغلال الكون، وسلبيات التطور العلمي والتكنولوجي.

### الفرع الأول: استغلال الكون:

نود أولا توضيح أن لفظ "استغلال" في كثير من إطلاقاته واستعمالاته يدل على الأسلوب السلبي السيئ، وما يقابل "استغلال البيئة" هي: "عملية استثمار البيئة".

استغلال البيئة هي نتيجة منطقية لكل إنسان لديه خلفية فكرية مثل التي مرت بنا في الأسباب الفكرية للفساد البيئي.

فأي إنسان لديه فكر مثل الذي عرضناه سابقا، وتصور لعلاقة تضاد وتعسف وصراع بين الإنسان والبيئة، يكون سلوكه مع البيئة وعناصرها سلوك استغلال بشع.

وقد ظهر ذلك تاريخيا بجلاء عند بداية النهضة الأوروبية، وتعاملها الرهيب مع البيئة، المبني على الاستتراف الكلي، والاستغلال اللاعقلاني، ناهيك عن فقدانه للقيم الخلقية والقيم الإنسانية، وتجلى ذلك كما قلنا من سياسة الدول الاستعمارية التي دمرت بيئتها واستترفتها، ولما أحست بقلة الموارد الطبيعية الدافعة لعجلة النهضة الصناعية؛ اتبعت سياسة الاستعمار، فقتلت وشردت وانتهكت من الحرمات ما انتهكت من أجل شيء هو غاية في الخسة والدناءة، من أجل استغلال باقي المناطق التي لازالت البيئة فيها محفوظة مصانة، ونتيجة لذلك أنهكت البيئة في تلك المناطق المستعمرة وعمها الفساد بعد أن كانت مصانة.

وكمثال على ذلك ما حصل في الجزائر، وما فعله المستعمر الغاشم، من استغلال بشع للبيئة الجزائرية على تنوعها، والواقع شاهد على ذلك من المناجم التي أصبحت مغارات ميتة لا شكل للحياة بها، ولا ثروة يمكن استثمارها، وكذا استغلال الخيرات الباطنية ونهبها بشكل لا عقلاني ولازال هذا الأسلوب متبعا إلى يومنا.

والشيء الذي نود أن نخلص إليه هو أن استغلال البيئة وعناصرها، عمل منسلخ من التعقل ومن كل صفات القيم الإنسانية، ناهيك عن بعده عن طريق الحق وضلاله.

وهو نتيجة حتمية لخلفية فكرية قوامها الصراع والمنفعة، نابجة عن الفكر الميكيافلي «الغاية تبرر الوسيلة». فالغاية هي التطور والتمتع بالحياة والرفاهية المطلقة، وإشباع الرغبات، حتى ولو بنيت على دمار البيئة بكل عناصرها.

فهذا نتاج العقل البشري، حينما يبتعد وينحرف عن الوحي الإلهي. وهذا ما وضحه تعالى: ﴿**بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا...**﴾.[1]

[1] سورة الروم ، الآية : 41

## الفرع الثاني: سلبيات التطور العلمي والتكنولوجي:

إن أسباب الفساد البيئي؛ سواء الفكرية منها أو المادية، مرتبطة فيما بينها ومتسلسلة، كما يتضح لنا جليا أن السبب المادي الأول وهو استغلال البيئة كان مرتبطا بالأسباب الفكرية، وكان له جذوره الفكرية، فكذلك هو مرتبط ارتباطا وثيقا بهذا السبب.

فعندما نتحدث عن التطور العلمي والتكنولوجي كسبب رئيسي في ظهور الفساد البيئي، ربما يتساءل أحد عن ذلك، ويقول: ما دخل التطور العلمي والتكنولوجي في أسباب الفساد البيئي ؟.

فنقول إن التطور العلمي والتكنولوجي، حركة فكرية كباقي الحركات الإنسانية. وأي شيء يتحرك ويعمل، ويكون له جانبان، جانب إيجابي وجانب سلبي، ودخول التطور العلمي والتكنولوجي ضمن أسباب الفساد البيئي، منبعه ومعياره الجانب السلبي فيه.

فالتطور العلمي والتكنولوجي منذ بداية النهضة العلمية والصناعية، كان غاية، وصيغة لهذه الغاية وسائل لتحقيقها، وكان ميدان العمل بهذه الوسائل التي تسهل للإنسان الأوروبي استتراف خيرات البيئة بسهولة، وبجهد ووقت قصيرين.

ولمواصلة تحقيق مبدأ استغلال البيئة، كانت الحركة الاستعمارية، فسخر التطور العلمي والتكنولوجي كوسيلة لذلك. فكان تطوير السلاح الفتاك والمدمر، فنتج عن ذلك القنبلة الذرية والقنبلة النووية والقنبلة الهيدروجينية، ودمر الإنسان الذي هو أغلى عنصر في هذه البيئة، فما بالك بالبيئة ذاتها.

وربما يتساءل أحد أن العلم وكل شيء يتفرع عنه، بني على التعقل، ربما كان من البديهي أن تكون نتائجه أكثر إيجابية ومتصفة بالقيم النبيلة، لكن يجب على المتسائل أن يفقه أولا أن ذلك العلم يجب أن يكون مبنيا على دعامة وأسس فكرية وعقدية تصونه من الخطأ والزلل ويجب أن يكون مسترشدا بالوحي الإلهي.

فإذا ما انحرف العلم والعالِم عن الوحي الإلهي وعن الحق، ضل وأضل وهوى وأهوى، ودُمِّرَ وَدَمَّرَ، ولكم نزداد اعتزازا بديننا الحنيف، دين العلم والتعلم، حينما أنزل أول الوحي

على الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت آيات القراءة، كانت آيات العلم والتعلم؛ ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾[1]. فكان الحث على العلم والتعلم، ولكن بالاسترشاد بالوحي الإلهي، لذا كانت صريحة في ذلك: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾.

فكان العلم عند المسلمين، وكان العلماء المسلمون مسترشدون بالوحي، موجهون بتوجيه العقيدة الإسلامية، فهذا هو العلم الصالح الذي يحيي من كان ميتا، وينير من كان في الظلمات، ويرتفع بمن كان يعيش في الدركات.

فإذا ما ابتعد هذا العلم عن ما قدر له وطلب منه، حاد وانحرف وأخطأ وزاغ، وهذا ما يؤكده العلم الغربي في مجال وسائل الدمار وأسلحة الدمار، الضال عن منهج الحق، ما ذا ورث لنا ؟. ورث لنا وسائل دمار، ورث لنا تطورا علميا تكنولوجيا، أشد فتكا بالبيئة والعباد.

وهنا يتأكد لنا أن هذا العلم الغربي وهذه التكنولوجيا الغربية الكافرة، مؤسسة على الأسباب الفكرية التي ذكرناها سالفا، بل هي روحها التي تنبض حياتها بها، فمتى يفيق علماء المسلمين ويفقهوا أن العلوم الكونية الغربية لها خلفيات فكرية وعقدية تمثل الغرب الكافر.

وإلى متى تبقى خطاباتهم تدعي أن العلوم الكونية الغربية علوم موضوعية لا صلة لها بالأفكار الغربية الكافرة، والإيديولوجيات العقدية الضالة.

هذه الضلالة التي اصطبغ بها العلم الغربي، والتطور التكنولوجي الغربي، التي جرت على البيئة والبشرية الويلات ولا تزال.

من لا يتذكر القنبلتين الذريتين التي ألقت بهما أمريكا في اليابان على منطقتي هيروشيما وناغازاكي ؟ من لا يتذكر حادثة تشيرنوبيل في الاتحاد السوفيتي ؟.

---

[1] سورة العلق، الآيات: 01-05.

بل من منا لا يتذكر حادثة الصحراء الجزائرية في منطقة رقان، على إثر تفجير فرنسا لأول قنبلة ذرية لها، والتي أبادت البيئة بكل عناصرها في مكان التفجير وأبعد منه، ولازالت آثارها إلى يومنا على البيئة والعباد.

هل هذا هو التطور العلمي والتكنولوجي، الذي تنشده الإنسانية وتشرئب له أعناقها، إن مثل هذا التطور ينبذه العقل السليم، وتمجه الفطرة السليمة مجا.

ولا تزال سيرورة التطور التكنولوجي والعلمي إلى يومنا وفي غدنا، في جانبها السلبي، ومازال الغرب يطور من القنابل الذرية والنووية والهيدروجينية، وغيرها، ويصبو إلى تقوية درجة فتكها، غير مبال بالحياة جميعا، لا بالبيئة ولا بالإنسان.

وها هي فرنسا- بلد الديمقراطية والسلام !- تقوم بتجربة لتفجير أحدث ما وصلت إليه القنابل النووية في عرض مياه المحيط، على وقع صيحات الإنسانية جمعاء، لكن لا حياة لمن تنادي.

وها هي إسرائيل رأس الكفر والضلال، تحتل المرتبة الأولى بعد أمريكا في امتلاك السلاح النووي.

أفبعد هذا نقول أن التطور العلمي والتكنولوجي الغربي لا صلة له بالفساد البيئي ؟ وبالدمار الذي نعيشه ؟ فمتى نفقه ذلك ؟!. ولقد وصف القرآن الكريم حقيقة ذلك وصفا دقيقا حين قال تعالى: ﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذي ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا، ذلك جزاؤهم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا**﴾[1].

[1] سورة الكهف، الآيات: 102-106.

وقوله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون**﴾[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] سورة البقرة، الآيات: 11-12.

## المبحث الثاني: نتائج وآثار الفساد البيئي

إن نتائج وآثار الفساد البيئي خطيرة وكثيرة لا تكاد تحصى، ففي كل لحظة زمن تكتشف نتيجة للفساد البيئي وأثر من آثاره على البيئة وعناصرها، هو أخطر وأفتك من سابقه، ولقد اقتصرنا في بحثنا على تقديم أهم النماذج عن نتائج وآثار الفساد البيئي الواضحة للعام والخاص.

والتي أصبحت لأجلها تسن القوانين وتعقد الملتقيات والمؤتمرات من أجل التخفيف من حدتها واحتوائها، محافظة على البيئة ومن ورائها المحافظة على الحياة الإنسانية.

### المطلب الأول: نتائج الفساد البيئي:

ونحصرها في أهم النتائج الشائعة:

#### الفرع الأول: ظاهرة النينو:

أهم ظاهرة حديثة نتجت عن الفساد البيئي، هي ما يعرف عند العلماء بـ ظاهرة النينو، وهي عبارة عن عملية تسخين غير طبيعية لطبقة المياه السطحية في المنطقة الاستوائية من المحيط الهادي، وتحدث هذه الظاهرة على فترات غير منتظمة متزامنة مع ظاهرة أخرى تسمى: النوسان الجنوبي (Southern Oscillation) وهي عبارة عن نوسان هائل في الضغط الجوي بين المنطقتين الجنوبية الشرقية والغربية من المحيط الهادي الاستوائي، وهاتان الظاهرتان: النينو والنوسان الجنوبي، معروفتان لدى علماء المحيطات والأرصاد الجوية[1].

حيث أن هناك اختلاف بين علماء المحيطات والأرصاد الجوية في تحديد منشأ هذه الظاهرة. فبعد أن قرروا أن الظاهرة ناتجة عن تواجد ضغط منخفض وآخر مرتفع، يلتقيان في المنطقة الاستوائية، وهذا في بداية معرفة الظاهرة وظهورها، لكن سرعان ما تبددت معطيات قرارهم هذا، وإلى يومنا، البحث جار عن منشأ هذه الظاهرة، وأحسن تفسير توصلوا إليه

---

[1] أشرف محمد متولي، ظاهرة النينو والتوقعات البيئية والمناخية، مجلة القافلة، مؤسسة آرامكوا السعودية، عدد 08، ديسمبر- جانفي 1996م، ص 06.

هو أن الظاهرة ناتجة عن التلوث البيئي أو عن التزايد الحراري الناتج عن الغازات التي تزيد من ارتفاع درجة الحرارة، لذلك تسخن طبقة المياه السطحية في المنطقة الاستوائية. وفق عملية غير طبيعية، وهذه الغازات تنبعث بشكل أساسي من الصناعات النووية وصناعات الأسلحة التي تقوم بها أمريكا.

وقد أضحت هذه الظاهرة تمثل شبحا حقيقيا على وقع عواصفها المدمرة، ولقد مس أمريكا على إثر حدوث الظاهرتين، ظاهرة النينو والنوسان الجنوبي، ومن بين أكبر الولايات تضررا، ولاية كاليفورنيا الأمريكية، حيث عرفت على إثره كارثة أفتك من الحرب الطاحنة، سببها الرئيس هو ارتفاع درجة الحرارة الناتجة عن التلوث البيئي أو ما يعرف اليوم بمشكلة الاحتباس الحراري[1].

والذي تشارك فيه أمريكا بدرجة أولى وكبيرة، عبر صناعاتها النووية وصناعة الأسلحة المكثفة، والغير رشيدة، إضافة إلى رفض أمريكا توقيع الاتفاقية الدولية القاضية بالحد من مثل هذه الصناعات التي تزيد في مشكلة الاحتباس الحراري، الذي ينتج ظاهرة النينو، والنوسان الجنوبي.

ولازالت هذه الظاهرة إلى يومنا تهدد الساحل الجنوبي لأمريكا، وبالأخص ولاية كاليفورنيا التي تعرضت هذا العام 2004م، إلى أربعة أعاصير مدمرة متوالية. وهذا ما لم يحدث من قبل أبدا، وإن دل ذلك عن شيء، فإنما يدل عن زيادة تعقد المشكلة وزيادة خطورتها بزيادة التلوث البيئي الذي ينتج عن التعنت الأمريكي.

---

[1] أشرف محمد متولي ، المرجع السابق ، ص 10

## الفرع الثاني: ثقب الأوزون:

إن قضية تآكل طبقة الأوزون أو ما يعرف علميا وإعلاميا بـ "ثقب الأوزون"، أصبحت قضية العصر وموضع اهتمام العالم بأسره.

نظرا لأن الأوزون الموجود في الغلاف الجوي مهم جدا للحياة على الأرض، حيث يمتص ما بين 95 % إلى 99 % من الأشعة الفوق بنفسجية الحارقة، والتي تتسبب في الإصابة بمرض سرطان الجلد ومرض العيون.

- فما هو الأوزون ؟

الأوزون كما يحدده أهل الاختصاص، هو أحد أشكال الأوكسجين، حيث يتكون الجزيء الواحد من ثلاثة ذرات أكسجين ($O_3$)، في حين يتكون جزيء الأكسجين العادي من ذرتين فقط ($O_2$)، ومن صفات الأوزون أنه غاز أزرق اللون ذو رائحة نفاذة نشط كيميائيا، ويوجد بصورة طبيعية في الغلاف الجوي في طبقة الستراتوسفير، وهي إحدى طبقات الغلاف الجوي التي تمتد بارتفاع 15 إلى 50 كلم فوق سطح الأرض[1].

أما عن ثقب الأوزون، فالمقصود به هو النقص في تركيز الأوزون الموجود في الغلاف الجوي، وقد تم هذا الاكتشاف لهذا الثقب فوق القطب الجنوبي لأول مرة.

والسبب الرئيسي في تآكل طبقة الأوزون هو وجود ذرات من الكلور تعمل على تكسير جزيئات الأوزون.

وتم بعدها إثبات أن مركبات الكلور وكربون (CFC) والمعروفة تجاريا باسم (الفريون) وهي المصدر الرئيس في تواجد هذه الذرات، هذه المادة التي تستعمل في مجال التبريد، والتي يحتويها ويطلقها أي جهاز تبريد.

---

[1] حولة عبد اللطيف عودة، تآكل طبقة الأوزون، القافلة، عدد 07، أكتوبر- نوفمبر، 1999م، ص 10-11.

وثبت علميا بالدراسة، أن ذرة واحدة من الكلور تعمل على تدمير ما لا يقل عن 100 ألف جزيء من الأوزون، ولا يزال ثقب الأوزون إلى يومنا في اتساع مستمر، على الرغم من عقد الندوات والملتقيات الدولية واتخاذ القرارات الصارمة للحد من ذلك.

لكن يبقى الواقع غير ما يشرع له على المستوى الدولي مادامت أسباب التلوث دائمة ومستمرة.ففي شهر أكتوبر 1994م، أطلقت المنظمة العالمية للأرصاد الجوية، صيحة إنذار فوق القطب الجنوبي، رقت طبقة الأوزون بحوالي 65-70 % على ارتفاع يتراوح بين 14 و 19 كلم، وبذلك تمزق ما يعرف باسم غطاء الأوزون[1].

ونظرا لعدم الحد من درجة التلوث، بل وزيادته في بعض الأوقات، بلغ ثقب الأوزون، في السنوات الماضية حجمه القياسي ففي شهر سبتمبر 2000م، أعلنت وكالة الفضاء الأمريكية "نازا" أن القياسات التي أخذت بواسطة أحد أقمارها الاصطناعية أظهرت ثقبا بحجم قياسي في طبقة الأوزون، فوق المحيط المتجمد الجنوبي، يمتد على مساحة 28.3 مليون كلم$^2$ أي أكبر بثلاث مرات من مساحة الولايات المتحدة الأمريكية[2].

وسيبقى الثقب في اتساع مادام التلوث مستمرا، ومادام الغرب يبني حياته على أفكار ومبادئ هي الأسباب الأولى لهذا الخطر الذي نعيشه.

---

[1] سمير صلاح الدين شعبان، الدفيئة وثقب الأوزون وجهان لعلة واحدة، مجلة القافلة، عدد 12، ماي، 1995م، ص 15.

[2] مقال تحت عنوان "ثقب الأوزون في اتساع هائل"، جريدة الخبر اليومية، 25 سبتمبر 2000م.

## الفرع الثالث: تلوث التربة:

التربة هي الطبقة السطحية للأرض التي تستخدم في الزراعة، وتتكون من 45 % مواد معدنية (طمي، رمل ناعم وغيره)، 5 % مواد عضوية (عبارة عن تراكمات مخلفات نباتية وحيوانية) ومن 25 % هواء (نيتروجين وأكسجين وثاني أكسيد الكربون وغيرها)، ومن 25 % ماء، وتتوقف درجة خصوبة التربة وإنتاجها على التكوين الطبيعي والكيميائي والبيولوجي لهذه المكونات[1].

وتتلوث التربة بالنفايات الصلبة والفضلات المترلية والمبيدات الحشرية والأسمدة الكيماوية، والمعادن الثقيلة، والملوثات الأخرى، كالأمطار الحمضية، والغبار الذري الناتج عن التفجيرات النووية.

وسنبين بعض مظاهر هذا التلوث بالنسبة للتربة.

### 1- التلوث بالأسمدة الكيماوية:

حيث أن الزراعة الحديثة في عصرنا، تعتمد أساسا على كميات هائلة من الأسمدة الكيماوية المصنعة للتعويض عن العناصر الغذائية التي تتطلبها المحاصيل، ومنه وجد إفراط في استخدام هذه الأسمدة، خاصة في النوع السام منها، مثل: النترات.

فهي تستعمل بكميات تفوق حاجة المحاصيل الزراعية لها، حيث يبقى جزء كبير منها مترسبا في التربة، تذوب بسهولة مع مياه الأمطار، وبالتالي تلوث المياه الجوفية والبحيرات، وقد تمتصها نباتات أخرى لا تحتاج إلى نسب كبيرة من النترات.

وكل ذلك يؤثر سلبا على الإنسان والحيوان، وحتى النبات ذاته، خاصة وأن مادة النترات تعد سامة جدا، فزيادتها تؤدي إلى اضطراب في وظائف النبات، مما يجعلها تعطي نسبا قليلة من الثمار والبذور، كما هو الحال بالنسبة للقمح والشعير[2].

---

[1] أحمد خالد علام وعصمة عاشور أحمد، التلوث وتحسين البيئة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، 1993م، ص 202.

[2] محمد شوقي عبد الله، تلوث التربة وتأثيره على البيئة وصحة الإنسان، مجلة القافلة، عدد 03، أوت- سبتمبر، 1994م، ص 6-7.

**2- التلوث بالمبيدات:**

وهي على قسمين: مبيدات تستخدم في المحاصيل الزراعية، وأخرى تستخدم ضد الحشرات والفطريات والأعشاب الضارة.

فالأولى تؤثر على النبات فتفقده أهم وظائفه، وتؤثر على خصوبة التربة ومردوديتها فتضعفها، وتؤثر على صحة الإنسان من خلال تناوله بعض الخضر والحبوب التي تكون مشبعة بالمبيدات التي لم تتحلل.

والثانية تؤثر على البكتيريا الطبيعية الموجودة في البيئة، خاصة البكتيريا التكافلية (Symbiotic Bactrian).

فإذا ما أثرت هذه الملوثات في اندثار ستة أنواع من البكتيريا الموجودة في الدورة البيئية لعنصر النيتروجين، الضروري جدا لنمو النباتات، فإن الحياة على وجه الأرض قد تأذن بالفناء[1].

**3- التلوث بالمواد المشعة:**

هذه المواد الناتجة عن التفجيرات الذرية والنووية، والتي تمتصها التربة فيمتصها النبات، أو تسقط على شكل أشعة ذرية على أوراق النبات، وهذا التلوث يصل إلى الإنسان بنسبة 20 % عن طريق التربة، و 80 % عن طريق تلوث النبات[2].

**4- التلوث بالمخلفات الصلبة:**

وهي الأكثر خطورة بعد المواد المشعة على التربة والنبات، وبالتالي على الإنسان وهذا من خلال إلقاء المصانع لفضلاتها السائلة التي تحوي معادن سامة مثل: الزئبق والرصاص والزرنيخ والكاديوم، في الأنهار التي تستعمل مياهها لري الأراضي الزراعية.

وكأوضح مثال على هذا الخطر المحدق، ما حدث في اليابان، حينما أصيب السكان بمرض جديد وخبيث، يهاجم العظام ويقلل من أحجامها، ويجعل الفرد غير قادر على

---

[1] محمد شوقي عبد الله، المرجع السابق، ص 08.

[2] المرجع نفسه، ص 08.

الحركة وبعد بحث شاق من الأطباء اتضح أن سبب ذلك هو فضلات الكاديوم السامة التي ألقى بها أحد المصانع في مياه أحد الأنهار التي استغلت في حقول الأرز[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] محمد شوقي عبد الله، المرجع السابق، ص 09.

## الفرع الرابع: تلوث الهواء:

هذا التلوث هو ناتج التطور الصناعي، حيث أن المنشآت الصناعية تساهم في إطلاق نسب كبيرة من الملوثات في الهواء، عدد كبير منها فيه من الخطورة بما كان على البيئة وعناصرها، وإصابة الإنسان بالأمراض الخبيثة ووفاة الكثيرين.

وقد قدرت الوكالة الأمريكية لحماية البيئة، عدد المواد السامة الملوثة للهواء بنحو 189 مادة، كما تشير الإحصائيات إلى أن أكثر من بليوني رطل من هذه الملوثات السامة يتم إطلاقها سنويا في الهواء[1].

وقد جاء في قانون التخطيط للطوارئ وحق المجتمع في المعرفة، تعريف للمادة السامة الملوثة للهواء بأنها: «مادة كيميائية يمكن أن تتسبب في إحداث آثار عكسية وحادة على الصحة البشرية، كالسرطان والأورام أو الاضطرابات الحادة أو العكسية في الوظائف التناسلية أو الاضطرابات العصبية أو الطفرات الجينية الوراثية، أو أية آثار أخرى صحية دائمة»[2].

وعلى الرغم من الجهود المضنية في السنوات الأخيرة، من طرف الحكومات ومنظمات حماية البيئة، إلا أن الخطر لم يزل محدقا بالإنسانية والأرض، والنسب في ارتفاع مستمر.

وهذه بعض ملوثات الهواء السامة وأصلها الكيميائي ومصادر انبعاثها في الهواء:[3]

---

[1] محمد عبد القادر الفقي، مخارق الملوثات السامة ودورها في مكافحة تلوث الهواء، مجلة القافلة، عدد 09، جانفي- فيفري، 1996م، ص 17.

[2] محمد عبد القادر الفقي، المرجع نفسه، ص 19.

[3] محمد عبد القادر الفقي، المرجع السابق، ص 20.

| المادة الملوثة للهواء | الأصل الكيميائي | مصادر انبعاثها في الهواء |
|---|---|---|
| الأسيتالدهيد | عضوي | الصناعات الكيميائية |
| الأسبستوس | عضوي | العزل الحراري |
| البترين | عضوي | الصناعات الكيميائية |
| بايفينيل | عضوي | الصناعات الكيميائية |
| التوكسافين | عضوي | المبيدات الحشرية |
| ثلاثي كلور البترين | عضوي | الصناعات الكيميائية |
| ثلاثي كلور الإيثيلين | عضوي | الصناعات الكيميائية |
| ديازوميثان | عضوي | الصناعات الكيميائية |
| ديوكسان | عضوي | الصناعات الكيميائية |
| مركبات الزرنيخ | عضوي/ غير عضوي | صهر المعادن، الصناعة الكيميائية |
| مركبات الأتيمون | غير عضوي | الصناعات المعدنية |
| مركبات البريليوم | غير عضوي | الصناعة المعدنية، الخزف |
| مركبات الكاديوم | غير عضوي | الصناعة المعدنية، صهر المعادن |
| مركبات الكروم | غير عضوي | الصناعة المعدنية، طلاء المعادن |
| مركبات الكوبالت | غير عضوي | الصناعة المعدنية |
| مركبات السيانيد | عضوي | الصناعات الكيميائية |
| مركبات الرصاص | غير عضوي | الصناعة المعدنية والكيميائية |
| مركبات المنغنيز | غير عضوي | الصناعة المعدنية والكيميائية |
| مركبات الزئبق | عضوي/ غير عضوي | الكلور |
| النيوكليدات المشعة | عضوي/ غير عضوي | الصناعات النووية |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

### الفرع الخامس: تلوث الماء:

لا أحد منا يجهل مكانة الماء على مستوى البيئة وعناصرها، إذ يعتبر أساس الحياة، وضروري لكل كائن حي؛ إنسانا كان أم حيوانا أم نباتا، وهذا بقرار الخالق عز وجل: **﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾**[1].

فأهمية الماء بالنسبة للإنسان تأتي بعد أكسجين الهواء مباشرة، لذا أصبحت قضايا المياه في السنوات الأخيرة من أهم القضايا التي تتناولها الدول والحكومات بالدراسة والاهتمام، وخاصة قضية تلوث المياه، والأخطار الجسيمة المترتبة عنها.

وحاولت الدراسات والأبحاث الكثيرة ضبط مصادر هذا الخطر، فخلصت إلى أن أهم مصادر تلوث المياه تتمثل في: مياه المجاري المتدفقة، وتدفق المياه الناتجة عن المخلفات الصناعية والبترول، إلى المسطحات المائية، كما أن المبيدات الكيميائية ونفايات المصانع، وملوثات الهواء تصل إلى المسطحات المائية عن طريق مياه الأمطار[2].

وكانت منظمة الصحة العالمية في سنة 1961م قد قدمت تعريفا لتلوث الماء العذب، نص على «أن المجرى المائي يعد ملوثا عندما يتغير تركيب عناصره أو تتغير حالته بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بسبب نشاط السكان، حيث تصبح هذه المياه أقل صلاحية للاستعمالات الطبيعية المخصصة لها أو لبعضها[3].

وسنعرض إلى مثال مشهور، يساهم بقسط كبير في ظاهرة تلوث المياه، ألا وهو تدفق النفط.

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: 30.

[2] وتتمثل خصوصا في الأمطار الحمضية التي تنشأ من الغازات المنبعثة من مداخن معامل الصناعات الثقيلة والعضوية والكيميائية، وكذا الغاز المنبعث من السيارات والقطارات والطائرات، التي تطلق منها سنويا مئات الملايين من الأطنان، وتترتب عنها كوارث طبيعية جسيمة تؤثر سلبا على الاقتصاد، ومن أمثلتها ما جرى ببحيرات بلجيكا والقضاء على الثروة السمكية الهائلة، وكذا ما جرى في ألمانيا من خسائر جسيمة في الثروة الغابية، وكذا تدمير جزء هام من مزارعها ومحاصيلها الزراعية، حيث تقدر الخسارة سنويا ب 700 مليون دولار.

[3] أشرف محمد متولي، أخطار تلوث المياه ووسائل حمايتها، مجلة القافلة، عدد 02، حويلية، 1995م، ص 04.

* **التلوث بالنفط:**

وهذا لأن هذه المادة الخطيرة على صحة الأحياء، أهم وسيلة لنقلها وتصديرها هي الناقلات البحرية، وبالتالي المسطحات المائية تصبح المتعرض الأول والأخير لهذا الخطر.

ويكون تسرب النفط بطريقتين: إما على إثر الاصطدامات بين الناقلات أو سوء الأحوال الجوية، فتتسرب كميات هائلة من النفط.

وإما عن طريق ضخ وصرف المياه الغير صالحة من السفن إلى البحار والمحيطات وتكون محملة بنسب كبيرة من النفط.

وكمثال على ذلك حادثة اصطدام ناقلة النفط البريطانية "توري كانيون" في بحر المانش سنة 1964م، حيث تسرب حوالي 117 ألف طن من النفط الخام إلى البحر، غطت مساحة مائية لا تقل عن 320 كلم$^2$ من الشواطئ البريطانية إلى فرنسا.

وكذا أزمة الخليج الثانية، على إثر تسرب النفط في الخليج العربي، حيث باتت تهدد النظام البيئي في المنطقة[1].

أما من ناحية تأثير تلوث المياه على صحة الإنسان، فهناك أمراض خطيرة وفتاكة ناتجة عن تلوث الماء مثل: الكوليرا، والتيفوئيد والطفيليات، وحالات الإسهال الحادة، التي تشكل السبب الأساس في وفيات الأطفال دون سن الخامسة، حيث تقدر منظمة الصحة العالمية أن هناك 50 ألف شخص يموتون يوميا في البلدان النامية، لتعرضهم لأمراض ناتجة عن المياه الملوثة[2].

---

[1] أشرف محمد متولي، المرجع السابق، ص 06.

[2] المرجع نفسه، ص 06.

وهذه أنواع الملوثات التي تحويها المياه الملوثة الصناعية:[1]

| نوع الملوث | المصدر |
|---|---|
| التلوث الحراري | محطات توليد الطاقة الكهربائية، معامل غسيل الملابس، غسل العبوات الزجاجية. |
| التلوث بالمواد المشعة | التجارب النووية والمفاعلات الذرية والمحطات النووية، حفظ النفايات الذرية في البحار. |
| كمية عالية من المواد المتسربة | مصانع السكر، مناجم الفحم، مصانع الزجاج، مصانع الدباغة، الصناعات الغذائية، مصانع الزيتون. |
| كمية عالية من المواد الذائبة | صناعة تكرير البترول، تعدين الفحم، صناعة البوتاس، مصانع الدباغة والجلود، الصناعات الكيميائية. |
| قواعد | مصانع الأقمشة، تصنيع المعادن، مغاسل الأقمشة، مغاسل الصوف. |
| مواد سامة | مصانع الدباغة والجلود، صناعة الأصبغة، تصنيع الفحم الحجري، مصانع المبيدات، المصانع الكيميائية. |

[1] أشرف محمد متولي، المرجع السابق، ص 05.

## المطلب الثاني: آثار الفساد البيئي:

إن الأخطاء المتنوعة للتلوث البيئي والمستمرة والمستديمة، كانت لها آثار وخيمة عبر نتائجها المدمرة، فعمت الآثار السيئة كل مجالات الحياة. لأن الحياة بجميع أشكالها ميدانها الأساس هو الأرض التي نحيا فيها ونعمرها.

ونقتصر هنا على ذكر الآثار الاقتصادية والصحية للفساد البيئي.

### الفرع الأول: الآثار الصحية:

نخص هنا بالدراسة، الآثار الصحية للفساد البيئي على الإنسان، والتي تتضح بنسب كبيرة وخطيرة، تحدد نتائج الفساد البيئي.

فبالرغم من ما يزيد عن نصف قرن، على أخطر الكوارث النووية، والتي تمثلت في تفجير القنبلتين الذريتين على مدينتي هيروشيما وناغازاكي، والتي أدت إلى مقتل حوالي نصف مليون شخص، إضافة إلى إصابة المئات من الأشخاص بإصابات خطيرة تركت أجسامهم محترقة ومشوهة، والكثير منهم فتكت به الأمراض السرطانية، ومازالوا يعانون إلى يومنا.

فالأثر الصحي على الإنسان، الناتج عن القنابل المختلفة وحده، كفيل لأن يهز مشاعر الإنسانية، ناهيك عن نتائج التلوث الأخرى غير القنابل.

ومن أمثالها القنابل الكيماوية التي يناط بها نقل أكبر حجم من الغازات السامة القاتلة إلى أوسع نطاق، هذه الغازات المحظورة دوليا والتي تفتك بصحة الإنسان، مثل: غاز الثابون، الذي لا لون له ولا رائحة وهو غاز أعصاب سام.

وكذا غاز السارين وهو أيضا غاز أعصاب سام جدا، وغازات أخرى تؤدي إلى وفاة الشخص بمجرد استيعابها أو ملامستها، ولو بكميات قليلة جدا.

وكذا القنابل الذرية التي طورت تطويرا رهيبا، في درجة الفتك والقوة، وتعد القنبلة الذرية التي ألقيت فوق هيروشيما من أبسط أنواع القنابل الذرية، فكيف تكون نتائجها إذا بلغت ذروة تطويرها، وكيف تكون آثارها على صحة البيئة والإنسان[1].

كما تواجه البشرية جمعاء خطرا آخر أكثر ضراوة وهو الإرث النووي، فهو بمثابة القنبلة الموقوتة التي يرشح انفجارها من يوم إلى آخر.

إضافة إلى آثار بعض التفجيرات والتجارب التي تمتد على مسافة زمنية معتبرة، ولها من الخطورة المعتبرة على صحة البيئة بما فيها الإنسان.

وما أزمة الخليج العربي، أثناء حرب الخليج الثانية، عنا ببعيدة، فبعد مرور أكثر من ثلاثة عشر سنة عن العدوان الأول على العراق، إلا أن الآثار الخطيرة لاستخدام الأسلحة النووية والذرية والهيدروجينية، ما تزال قائمة إلى وقتنا الحالي في أطفال وشعب العراق الشقيق.

ولقد أثبت ذلك إعلاميا، في السنوات الأخيرة، على إثر اكتشاف إصابات لدى جنود الحلف الأطلسي المشاركة في العدوان الأول على العراق، بأمراض خطيرة مثل: التشوهات والسرطان وغيرها، وبعد عرض الجنود على التحاليل، أثبت أنهم تعرضوا إلى إشعاعات نووية وغازات سامة استخدموها في العدوان، ومن بينها غاز اليورانيوم المحظور دوليا، ولقد توفي العديد منهم جراء ذلك.

وإضافة للآثار الصحية على نتائج التلوث الفتاكة، هناك أيضا آثار صحية سيئة وخطيرة على باقي نتائج التلوث ومسبباته، فالمبيدات الكيماوية، كما ذكرنا سابقا، لها من الخطورة المعتبرة على صحة الإنسان، مما يجعلها ضمن أهم نتائج التلوث التي تهدد الصحة الإنسانية.

---

[1] أحمد محمد الصغير، القنابل، أخطر سلاح عرفته البشرية، مجلة القافلة، عدد 04، أوت، 1997م، ص 14-20.

ونخلص إلى أن التلوث البيئي عاد بالسلب الكبير على صحة الإنسان، بعدما أنهك صحة البيئة، والأمراض الناتجة عنه كثيرة ومتعددة تعدد الملوثات، لذا أردنا في بحثنا الإشارة إلى أهمها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفرع الثاني: الآثار الاقتصادية:

في إطار التطور التكنولوجي والصناعي، اتضحت وبجلاء، صورة عبث الإنسان بالبيئة وتشويهه لها، تحت مسميات الصناعة والتقدم التقني.

فتحقق ما نهى عنه الله تعالى: ﴿**لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾.

وقوله تعالى حكاية عن هؤلاء المفسدين: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾[1].

ومن خلال ذلك فقد بلغت آثار التلوث السلبية، على الاقتصاد ذروتها. ففي هولندا سنة 1986م، قدرت قيمة التلف الناجم عن التلوث الهوائي والمائي والضوضائي فقط، بمبلغ يتراوح ما بين 0.6 و 1.1 مليون دولار.

وفي البلدان المتوسطية المتقدمة، يتراوح التلف الناجم عن التلوث ما بين 2 % إلى 5 % من الناتج القومي الإجمالي[2].

ومن أجل التخفيف من حدة التلوث وأضراره، قامت الدول المتطورة بتخصيص غطاء مالي سنوي من أجل تطوير الوسائل التقنية والتكنولوجيا الصناعية الأقل إنتاجا للتلوث، وقد أثر ذلك على الناحية الاقتصادية، هذا بالنسبة للدول المتطورة، فما بالك بالنسبة للدول النامية التي لا تسمح لها ميزانياتها المالية أن تستورد تلك التكنولوجيا الصناعية[3].

ومن هنا يصبح من الضروري على بلدان العالم جميعا أن يتكتفوا، ويؤسسوا ويقرروا علاقات شراكة وتعاون، من أجل القضاء على التلوث أو التخفيف من حدته، بحيث تكون المساهمة المالية لتطوير التكنولوجيا المحافظة على البيئة من طرف جميع دول العالم، والحصص تحدد حسب قدرة كل دولة.

---

[1] سورة البقرة، الآيات: 11-12.

[2] محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة، ص 102.

[3] حسين مصطفى غانم، الإسلام وحماية البيئة من التلوث، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، 1997م، ص137.

لأن التلوث الذي تعاني آثاره الدول النامية ناتج أصلا عن التقدم الصناعي للدول المتطورة، فمن غير المعقول، ومن غير الإنساني أن تدفع الدول النامية فاتورة خطأ لم ينتج عنها بنسبة كبيرة.

وقد يؤثر ذلك حتى على الناحية الاجتماعية لهذه الشعوب وعلاقاتها مع الدول المتطورة، فنجد شعب البلد المتطور يحافظ تكنولوجيا على نظافة الماء من التلوث، بينما لا يقدر على ذلك شعوب البلدان النامية، ومن هنا يبدأ الفرق وتزداد الهوة.[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] محمد منير حجاب ،التلوث وحماية البيئة، مرجع سابق ، ص103

# الفصل الثالث: علاج الفساد البيئي في العقيدة الإسلامية

لقد أصبحت مخاطر الفساد البيئي، أشد وأكثر ضراوة من الحروب المدمرة، وأكبر تهديد للحياة البشرية وللحياة على الأرض جميعا.

هذا الفساد البيئي الناتج، كما استخلصنا سابقا، عن تحكيم العقل البشري دون قيد، منفصلا عن الوحي وعن الحق، مصداق قوله تعالى: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا، لعلهم يرجعون، قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل، كان أكثرهم مشركين**﴾[1].

فكان من نتائج هذا الشرك والضلال عن الحق، تلوث البيئة بعناصرها الحية وغير الحية. وعرف العالم بعد السقوط في هذه المغبة، خطورة ذلك فلجئوا إلى تشخيص الظاهرة ومحاولة السيطرة عليها والتخفيف منها، فعقدت لذلك المؤتمرات والملتقيات وسنت لذلك القوانين والقرارات، ولعل أبرز ملتقى لذلك ما عرف بـ "مؤتمر قمة الأرض" الذي انعقد في ريوديجانيرو بالبرازيل سنة 1992م.

حيث اتفق على صيانة الأرض من التلوث، وفرض العقوبات الصارمة على الدول التي لا تحترم ذلك، لكن هل طبق ذلك في الميدان ؟ هل خفت درجة التلوث ؟.

كل ذلك لم يكن، لأن أسباب الفساد البيئي ما تزال نفسها.

وما تزال القاعدة الربانية، عبر الآية القرآنية السالفة الذكر، سائرة في الحياة البشرية إلى يومنا.

وما يؤكد ذلك هو حال الدول المتطورة، التي كانت أول من يضرب بقرارات المحافظة على البيئة عرض الحائط، وآخرها كان تعنت الولايات المتحدة الأمريكية عن التوقيع على لائحة الحد من الصناعات التي تؤثر سلبا في الزيادة من درجة حرارة الأرض.

---

[1] سورة الروم، الآيات: 41-42.

فهل نبقى نحاول، ونحاول، انطلاقا من الجهد العقلي البشري القاصر، في التخطيط لمعالجة الفساد البيئي، وقد باءت جل المحاولات بالفشل وإلى متى يبقى العالم، ونبقى نحن المسلمون كذلك ؟. والدواء الشافي لذلك موجود في ديننا.

لماذا لا نرجع برءانا وتحاليلنا، إلى تاريخنا الإسلامي، لنرى من خلاله برنامجها ربانيا متكامل النواحي، ورث لنا وأعطى لنا نموذجا حيا، للمحافظة على البيئة وصيانتها واستثمارها.

ألم تكن جل القرارات الدولية للمحافظة على البيئة مستوحاة من تجارب لبعض الدول في هذا المجال ؟.

فلماذا لا تكون نظرة العقيدة الإسلامية للبيئة، ومحافظتها عليها، وصيانتها لها، تجربة تستحق النظر فيها، وتستحق التطبيق.

كيف بنا نحن المسلمون نعقل هذا الدور العظيم لعقيدتنا في هذا المجال، وترانا نزحف على وجوهنا، ليجود علينا الغرب ببعض الأفكار، التي يعلم مسبقا عدم جدواها ؟!.

ألم يحن الوقت، ويصبح أكثر من الضروري علينا، أن نلي بالاهتمام والدراسة هذا النموذج الفريد من نوعه.

لنطرح بعد ذلك تساؤلات في بداية مشوارنا في هذا الفصل، فنقول كيف كان علاج الفساد البيئي في ضوء العقيدة الإسلامية ؟ وما هي أسسه ؟ وعلى أي المستويات كان ذلك ؟.

وللإجابة على ذلك نقول بأن الفساد البيئي كان مبنيا على مستويين: مستوى التصور: وهو الذي وضح من خلال الأسباب الفكرية والإيديولوجية.

ومستوى السلوك: والذي وضح من خلال الأسباب المادية.

فكذلك، علاج الفساد البيئي في ظلال العقيدة الإسلامية، مرتكز على مستويين: مستوى التصور، ومستوى السلوك، وسنوضح ذلك.

## المبحث الأول: علاج الفساد البيئي على مستوى التصور

إن أي عمل بشري أو حركة تغييرية إنسانية، لابد أن تستند أولا إلى التصور الذي يحدد عالمها ويرسم طريقها.

هذا التصور الذي هو بمثابة سكة الحديد، التي يعبر عليها السلوك البشري في حركة التغيير.

فالسكة أو الطريق الذي يعبر عليه علاج الفساد البيئي هو العقيدة الإسلامية، وسنوضح ذلك عبر دعامتي العقيدة الإسلامية، وهما: الإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر.

### المطلب الأول: الإيمان بالله:

عرضنا فيما سبق من خلال مفهوم البيئة في القرآن الكريم، إلى أن كلمة "الأرض" في القرآن جاءت موضحة عبر سياقين هما: سياق النشأة، وسياق الملكية والاستخلاف.

فاتضح لنا من خلالها أن الله عز وجل ، كما تشير إلى ذلك العديد من الآيات، هو الخالق للبيئة وعناصرها، والمهيمن عليها. وهو تعالى واضع النواميس الكونية التي تكفل حفظ التوازن فيها، وهو وحده عز وجل الذي يكفل لكل عنصر من عناصر البيئة أن يؤدي دوره المحدد له في صنع الحياة، وذلك كله عبر توافقية وانسجامية غاية في الدقة.

فكل ما في الكون كما خلقه الله، يخضع لدورة حيوية رسمها الخالق عز وجل، تتسم بالدقة والاتزان، وهي جميعا في متناول إحاطته وعلمه وقدرته عز وجل.[1]

فيتضح لنا إذن أن السماوات والأرض وما فيهما جميعا، ملك لله تعالى خلقا وتدبيرا وعبادة، أما الإنسان فهو خليفة الله في أرضه ووصيه عليها، أما ملكية الإنسان لهذه البيئة فهي ملكية عارضة، سرعان ما تؤول إلى مالكها الحقيقي وهو الله I.

---

[1] عبد الحكم عبد الطيف الصعيدي ، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني ، مرجع سابق ، ص104

ويعلم الإنسان المسلم، أنه مستخلف في الأرض وأنه سيد فيها بتمكين الله تعالى له، فيسعى إلى تحقيق الغاية الأسمى من وجوده وهي عبادة الله تعالى، وعمارة الأرض وفق ما شرع الله.

هذه العبادة والعمارة، التي في معناها الشامل تعني الالتزام الشامل بمنهج الله وشريعته، وفي كل مجالات النشاط الإنساني، وفي التعامل الإنساني مع كل عناصر البيئة.

وسنبين علاج الفساد البيئي عبر الإيمان بالله تعالى، في قضيتين هما: قضية استخلاف الإنسان في الأرض، وقضية عمارة الأرض التي عهد الله بها للإنسان.

**الفرع الأول: الإنسان مستخلف من الله في الأرض:**

لقد كفر وأخطأ وحاد عن الحق والصواب، من يقول إن الإنسان خلق هكذا عبثا، من غير رسالة أو تكليف، أو غاية تبنى عليها حياته.

وقد ألغى سؤالا هاما من بين الأسئلة الثلاثة التي يطرحها كل إنسان عاقل في هذه المعمورة: لماذا أتيتُ إلى هذه الحياة.

فنجد العقيدة الإسلامية قد أجابت بكفاية تامة عن هذه الأسئلة الثلاثة، من أين أتيتُ ؟ ولماذا أتيت، وماذا أفعل ؟ وإلى أين المصير ؟.

فحددت غاية وجود الإنسان، وأنه لم يوجد عبثا كما يقول المنحرفون الذين ضلوا عن طريق الحق، وركبوا سفينة الغواية التي يقودها إبليس- عليه اللعنة-.

فحددها تعالى قاعدة أساسية للخلق جميعا، وعلى رأسهم الإنسان وعقيدة صلبة صحيحة إلى قيام الساعة. فقال تعالى: ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾[1].

بل وحدد تعالى غاية خلق الإنسان وهي العبادة لله وحده لا شريك له، حيث قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[1].

---

[1] سورة المؤمنون، الآية: 115.

وحتى يؤدي الإنسان عبادة الله عز وجل ، رفع الله قدر هذا الإنسان واستخلفه في الأرض، حيث قال عز وجل: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون**﴾[2].

فالاستخلاف في الأرض عهد عهِد به الله عز وجل للإنسان من لدن آدم عليه السلام، أبو البشرية، إلى قيام الساعة. وهو عهد تكريم من الله للإنسان على سائر الخلائق جميعا، مصداقا لقوله عز وجل: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾[3].

ولو تتبعنا الآيات القرآنية الدالة على الاستخلاف للإنسان في الأرض، لوجدنا عهدا لاستخلاف من الله تعالى إلى عباده، مستمر من لدن آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم [4]، لم ينقطع هذا العهد أبدا، مرورا بسيدنا نوح عليه السلام ، إلى عاد قوم هود، إلى ثمود قوم صالح عليه السلام ، إلى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده، قال عز وجل : ﴿**ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا، وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا، كذلك نجزي القوم المجرمين، ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون**﴾[5].

فهو عهد من الله تعالى، لنا نحن معشر أمة الإسلام إلى قيام الساعة، بالاستخلاف في الأرض، وحث على أداء أمانة الاستخلاف في الأرض كما أمر الله وشرع، وتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى.

---

[1] سورة الذاريات، الآية: 56.

[2] سورة البقرة، الآية: 30.

[3] سورة الإسراء، الآية: 70.

[4] احسان هندي ، قدا يا البيئة من منظور إسلامي ، مرجع سابق ، ص 117

[5] سورة يونس، الآيات: 13-14.

فالله عز وجل يخبرنا عن أقوام قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ظلموا وخانوا عهد الاستخلاف الذي وكلوا به، وانحرفوا عن الحق، فأهلكهم الله بذنوبهم وسيجزيهم على بغيهم هذا. وعهد إلينا نحن المسلمون بأمانة الاستخلاف في الأرض، وقرر تعالى، أنه رقيب لمدى رعايتنا لعهده: ﴿**لننظر كيف تعملون**﴾.

فيجب بذلك علينا، أن نرعى حق الرعاية عهد الله تعالى لنا، فنعمل صالحا ونحفظ البيئة وعناصرها، لتكون عاقبتنا الحسنى مع الله الحسيب الرقيب.

ويؤكد تعالى أنه يُمكّن استخلاف عباده المؤمنين، الذين يعملون الصالحات في الأرض، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**﴾[1].

إذن فالذين يؤمنون بالله تعالى حق الإيمان، ويتبعوا إيمانهم بالعمل الصالح والعمارة الطيبة للبيئة وعناصرها (الأرض)، وإصلاح هذه البيئة وعدم الإفساد فيها. فإن الله تعالى سيستخلفهم في الأرض كما استخلف الأمم المؤمنة قبلهم.

ولكي يؤدي المسلم عهد الاستخلاف على أكمل وجه، سخر الله عز وجل له البيئة وعناصرها وجعلها مذللة له تذليلا.

قال عز وجل: ﴿**الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار**﴾[2].

ولما يفقه الإنسان، بأن هذه البيئة مخلوقة مثله، من طرف الخالق عز وجل، يعلم بعد ذلك بأن دوره في هذه الحياة هو عبادة الله عز وجل وتحقيق مبدأ الاستخلاف وعمارة

---

[1] سورة النور، الآية: 55.

[2] سورة إبراهيم، الآيات: 32-34.

الأرض بما شرع الله، فيحقق التعامل الرشيد مع البيئة، ويكون حريصا على المحافظة عليها، وإبقائها صالحة، بل ويزيد في استثمارها وتنويعها والاستزادة من خيراتها.

إن نظرة الإسلام للإنسان وحقيقته، ينشأ عنها سمو بالقيم الأخلاقية، وتزيد من قيم الإيمان والصلاح والإخلاص لله تعالى في حياة الفرد.

وهذه القيم هي التي يقوم عليها عهد الاستخلاف للإنسان المسلم مع ربه عز وجل.

وكما يقول سيد قطب: «إن الاستخلاف في الأرض: قدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد، وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر... فأما الذين يملكون فيفسدون في الأرض، وينشرون فيها البغي والجور، وينحدرون بها إلى مدارج الحيوان، فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الأرض، إنما هم مبتلون بما هم فيه، أو مبتلى بهم غيرهم ممن يسلطون عليهم»[1].

فالحقيقة، أن الله تعالى لم يجعل خلافة الإنسان في الأرض مطلقة، فالعقيدة الإسلامية توضح أن الإنسان مستخلف في هذه الأرض، ولكن هذا الاستخلاف يعني: إدارة الأرض من طرف الإنسان، لا أن يتصرف فيها كأنها ملكه، والاستخلاف كذلك، يعني الانتفاع بالأرض، دون التصرف فيها والإتلاف بوجه غير مشروع، وبما أن الإنسان مستخلف على إدارة الأرض واستثمارها، فهو أمين عليها[2].

والإنسان عبر ما وضحته عقيدتنا الإسلامية، على صلة بخالق الأرض وموجدها، الكبير المتعال، الرحمن الرحيم، رب كل شيء ومليكه، وهو على علاقة وثيقة مع هذه الأرض الواسعة، الحية المسبحة، يعيش بين أحضانها تحيط به إحاطة مشاركة وانفعال، واستجابة ومودة[3].

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج 04، ص 2529.

[2] إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص 119.

[3] عبد الباري محمد داود، دراسات فلسفية وإسلامية في الآيات الكونية، ط 01، دار الآفاق العربية، القاهرة- مصر، 1999م، ص 60.

والقرآن الكريم يؤكد ذلك عبر أكثر من آية، فيوضح أن هذا الإنسان بخلافته في الأرض هو عامل مهم في نظام هذا الكون.

وهذا ما يوضحه أحد الباحثين بقوله: «إن خلافة الإنسان في الأرض تتعلق بارتباطات شتى مع السماوات ومع الرياح ومع الأمطار، ومع الشموس والكواكب... وكلها ملحوظ في تصميمها وهندستها، إمكان قيام الحياة على الأرض، وإمكان قيام هذا الإنسان بالخلافة»[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، مرجع سابق، ص 72.

## الفرع الثاني: عمارة الأرض بالحلال الطيب:

إن عمارة الإنسان للأرض، من مقتضيات الاستخلاف، وإن من أهم شروط الاستخلاف أن يكون الإنسان قادرا على إعمار الأرض وتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى وحده لا شريك له والتمكين لدين الله، حيث يقول تعالى: ﴿**وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه**﴾[1].

ويقول احد الباحثين- حول معنى الآية-: «والمستفاد من هذه الآيات البينات، أن الله عز وجل خلق الإنسان ليعمر الأرض، وخلق فيها كل مقوما القدرة على تعميرها كما جعل في الأرض كل أسباب الاستجابة لفعل هذه القدرة بتسخيرها لها، بل سخر كل ما في السماوات والأرض لقدرة الإنسان حتى لا تتعثر في أي زمان، أو تتوقف في أي مكان»[2].

وهو ما تبينه عقيدتنا الإسلامية، من أن معنى الخلافة هو عمارة الأرض، أي تحقيق الجانب المادي، وهي لا تنفي ذلك، بل تجعله من واجبات الفرد المسلم عقديا، ولكن لا تجعله- الجانب المادي- هو الأصل، بل الأصل عند الفرد المسلم أن يطهر قلبه، ويملأه بالإيمان والصلاح والإخلاص لله تعالى، حتى يتسنى له أن يؤدي وظيفة العمارة للأرض على أكمل وجه، وهذا ما لا نجده في العقائد المحرفة والوضعية، التي تجعل من الجانب المادي أصلا في حياة الإنسان، فتجعله كالحيوان همه الإنتاج وإشباع البطن، لكن الحيوان أفضل منه.

فعلى الفرد المسلم أن يسعى إلى عمارة الأرض بالحلال، بما شرع الله تعالى، وأن يبتعد كل الابتعاد عن الإفساد في الأرض، فقد نهى عز وجل عن الإفساد في الأرض، وعدّ ذلك معصية وجريمة فقال: ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾[3].

والنهي هنا يفيد الوجوب بالترك، والابتعاد عن الإفساد في الأرض.

---

[1] سورة هود، الآية: 61.

[2] عبد الواحد إسماعيل القاضي، الإسلام والبيئة، ط 01، دار الاعتصام، القاهرة- مصر، 1991م، ص 35.

[3] سورة الأعراف، في الآيتين: 56 وكذا 85.

وقد وضح ذلك في آية أخرى، حيث يقول تعالى: ﴿**وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد**﴾[1]. فإفساد البيئة وعناصرها لا يحبه الله تعالى، وهو ليس من عمارة الأرض في شيء.

فحذرنا تعالى من أن الوقوع في الإفساد، سيؤدي إلى الهلاك وهو نتيجة متوقعة لمن ظلم وتجبر عن أمر الله، قال تعالى: ﴿**وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون**﴾[2].

وفي مقابل ذلك فالله تعالى يحفظ الأمة المصلحة من الظلم والهلاك، بعمارها للأرض وفق ما شرع، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿**وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**﴾[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] سورة البقرة، الآية: 205.

[2] سورة القصص، الآية: 59.

[3] سورة هود، الآية: 117.

**المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر:**

يقول عز وجل : ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين**﴾[1].

الإيمان بالآخرة هو الركن الأساسي من أركان الإيمان، وله الأثر البالغ في بناء علاقة الإنسان المسلم بالبيئة، وفق علاقة التوافق والاستثمار.

ويعد الاستخلاف في الإسلام، شرطا من شروط النجاة من العذاب في الآخرة[2] مصداقا لقوله تعالى: ﴿**فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾[3].

فالآخرة تعد محددا وموجها للحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾[4].

فلما يؤمن الفرد المسلم بأن هناك يوم حساب وعقاب، وأن هذه الحياة الدنيا هي دار عمل للدار الآخرة، وأن من عمل وأصلح في هذه الحياة الدنيا، فستكون عاقبته الحسنى يوم القيامة، وأما من طغى وأفسد في هذه الدار الدنيا فسيكون من أصحاب الجحيم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى**﴾[5].

فمن هنا يعلم الفرد المسلم بأنه من الواجب عليه شرعا أن يقوم بأداء واجب الاستخلاف كما أمر الله وشرع، وأن يقوم بعمارة الأرض كما شرع الله تعالى له، فإذا

---

[1] سورة القصص، الآية: 77.

[2] ضياء الدين سردار، نحو نظرية إسلامية عن البيئة، ترجمة سمية البرطراوي، مجلة المسلم المعاصر، عدد 95، سبتمبر، 1999م، ص 78.

[3] سورة الكهف، الآية: 110.

[4] سورة المؤمنون، الآية: 115.

[5] سورة الليل، الآيات: 05-10.

أداها على حقها فاز وضمن الجنة، وإذا ما فرط فيها فسيجازى على تفريطه ذلك. قال تعالى: ﴿**ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون**﴾[1].

وأنه من أسوأ التفريط، الفساد في الأرض، الذي اعتبره تعالى من أعظم الجرائم وأكبر الكبائر، حيث سواه تعالى بقتل الناس جميعا حيث يقول تعالى: ﴿**أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**﴾[2].

وبعكس ذلك من حيث الإصلاح: ﴿**ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**﴾.

كما نجد الله تعالى شديد التذكير بالآخرة وأنها دار حساب وعقاب على ما كان في الحياة الدنيا. لكي يعتبر الإنسان فيحسن في حياته الدنيا، فيكون جزاؤه الحسنى، قال تعالى: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأنّ سعيه سوف يرى**﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿**واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا**﴾[5].

فيذكر الله تعالى العباد بذلك، كي لا يعتوا في الأرض فسادا، فتكون عاقبتهم السوء، بل يسعى الإنسان بكل جهده لتعمير البيئة وعناصرها؛ لتعمير الأرض جميعا وفق منهج الله وشرعه، يبتغي بذلك فضلا من ربه ورضوانا: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا**﴾[6].

ويؤكد تعالى على أن الإصلاح من البر، والإفساد من الإثم، وكليهما سيجازى عنهما العبد يوم القيامة، يوم لا ينفع ما ولا بنون، قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾[7].

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 129.

[2] سورة المائدة، الآية: 32.

[3] سورة النجم، الآيات: 39-40.

[4] سورة المدثر، الآية: 38.

[5] سورة البقرة، الآية: 48.

[6] سورة الفتح، الآية: 29.

[7] سورة المائدة، الآية: 02.

فتصور مثل هذا، قائم على الإيمان بالله واليوم الآخر، يجعل علاقة الفرد المسلم بالبيئة علاقة تآلف واستثمار. فهذا هو الذي يميز التصور الإسلامي عن باقي التصورات البشرية والفلسفية، فالإلزام الرباني أشد وقعا على قلب الفرد المسلم، وأسرع تطبيقا، وارتضاء من فطرة الإنسان التي هو مجبول عليها، لذلك نجد له الوقع الكبير في السلوك الإنساني المسلم، أما الإلزامات البشرية فهي ضعيفة ضعف الإنسان والواقع خير دليل على تآكلها وتداعيها.

فعلاج الفساد البيئي في ضوء العقيدة الإسلامية، دعامته الأولى على مستوى التصور هي الإيمان بالله واليوم الآخر، التي ترسخ تصورا وعقيدة متكاملة في ذهن الإنسان المسلم، لتورث لنا بعد ذلك مشاهد حية وسلوكا طيبا، نتيجته صلاح البيئة واستثمارها، وإعمار الأرض حق الإعمار.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الثاني: علاج الفساد البيئي على مستوى السلوك

إن السلوك هو نتاج التصور، فبقدر ما يكون التصور صحيحا، بقدر ما يعطينا سلوكا صحيحا سليما، وهكذا كان علاج الفساد البيئي في ضوء العقيدة الإسلامية، مرتكزا على مستوى التصور الذي هو الإيمان بالله واليوم الآخر- دعامتي العقيدة الإسلامية-، هذا التصور الأصل، الصحيح والسليم، والذي ورث لنا سلوكا كان عبر شريعة الإسلام، بمثابة النموذج الفريد في المحافظة على البيئة.

فمن خصائص العقيدة الإسلامية أنها واضحة تمام الوضوح، لا مجال فيها للالتواء، كما أنها لا تحمل معاني الغش، وهكذا هم أصحاب العقيدة، واضحون في مفاهيمهم، وتصوراتهم، كما أنهم واضحون في أهدافهم وآمالهم، وهم أيضا واضحون في أساليبهم ووسائلهم.

فهم لا يعرفون اعوجاجا في التصور، ومن ثم لا يعرفون اعوجاجا في السلوك والتصرف.

فكما يقول أحد الباحثين، الذين ألفوا في مجال التربية البيئية الإسلامية: «القيم الإسلامية البيئية في مجموعة الأحكام المعيارية المنبثقة من الأصول الإسلامية، التي تكون بمثابة موجهات لسلوك الإنسان اتجاه البيئة، تمكنه من تحقيق وظيفة الخلافة في الأرض»[1].

ولنا في تاريخ الإسلام خير مثال، حينما أنتج علماء المسلمين فكرا يتلاءم مع واقعهم، وقدموا للعالم حضارة زاهرة معمرة، كما قدموا حلولا شافية للمشكلات البيئية التي واجهتهم على المستويين الفكري والعملي. وهذا عبر فكر وعلم نابعين من عقيدتنا الإسلامية، ومصبوغين

[1] صلاح عبد السميع عبد الرزاق، التربية البيئية في الإسلام، مقال في الإنترنيت، ضمن موقع: WWW. ISLAM ONLINE. COM.

بصبغتها، وما انحرف الفكر والعلم عن الوحي الإلهي، إلا ودب فيهما الجمود وأصبحا لا فائدة منهما، كما يقول أحد الباحثين: «إن العلم والفكر اللذين لا يعمر بهما الكون، ولا تصلح بهما البيئة، ولا ترقى بهما الحياة، في جانبيهما الروحي والمادي معا، هما علم وفكر قاصران، وضررهما أكبر من نفعهما»[1].

ونستطيع إبراز هذا النموذج السلوكي الإسلامي، في المحافظة على البيئة وعناصرها، عبر المراحل التالية:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] بركات محمد مراد، الإسلام والبيئة- رؤية إسلامية حضارية-، ط 01، دار القاهرة، القاهرة- مصر، 2003م، ص 145، نقلا عن: أحمد فؤاد باشا، البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامي، مجلة الأزهر، ديسمبر، 1996م.

## المطلب الأول: الحفاظ على البيئة:

إن الإسلام بعقيدته وشريعته، هو الدستور الوحيد، الذي بين حقيقة البيئة، واهتم بها وأرشد الإنسان إلى سبل التعامل الرشيد معها.

فحدد أولا أن البيئة هي لله تعالى ملكا وتقديرا وعبادة، وأنها متوازنة في دقة متناهية، ونجد أن أول من كشف عن نظرية التوازن البيئي هو القرآن الكريم، قبل أزيد من أربعة عشرة قرنا من الزمن، في حين نجد أن هذه النظرية لم تكتشف إلا في السنوات الأخيرة، و لم ترتقي إلى المفهوم الذي جاء به القرآن، ويتبين ذلك من آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿**وأنبتنا فيها من كل شيء موزون**﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿**إنا كل شيء خلقنا بقدر**﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**﴾[3].

فبين تعالى لنا نظرية التوازن البيئي على حقيقتها، فبين بأن الكون أو البيئة وعناصرها، مخلوقة في اتزان دقيق دال على قدرته تعالى وسعة علمه، وأن لبيئة بكل عناصرها مقدرة بقدرها الذي يضمن الحياة واستمرارها، وكل عنصر منها- مهما ضؤل- إلا وله دوره المناط به في دورة الحياة واستمرارها.

وقد ذكر لنا تعالى كل ذلك، لكي يعلمنا نحن العباد بأن نحافظ على هذا التوازن، فإن كل ذلك من نعمه تعالى على الناس لتستمر حياتهم، فيجب علينا نحن العباد أن نحافظ على ذلك.

ثم نجد الإسلام في شريعته الغراء، سار إلى أبعد الحدود في وضع الأطر التي تحفظ للبيئة وعناصرها اتزانها.

ففي جانب المحافظة على البيئة البحرية مثلا، نجد الإسلام يبدأ بذكر أهمية الماء وأنه أصل الحياة، فيقول تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾، وقوله تعالى: ﴿**والله خلق**

---

[1] سورة الحجر، الآية: 19.

[2] سورة القمر، الآية: 49.

[3] سورة الفرقان، الآية: 02.

**كل دابة من ماء﴾**[1]. ومن وراء ذلك إشارة للفرد المسلم بأن يعطي للماء مكانته، ويسعى إلى المحافظة على هذه النعمة الربانية ويشكر الله تعالى عليها.

ثم ينتقل إلى مرحلة عملية في نفس المجال، فينهى عن تلويث الماء بكل أشكاله، فنجد الشرع الكريم قد نهى عن التبول في الماء الراكد، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه»[2].

ومن هنا استنبط العلماء أن النهي عن التبول في الماء الراكد لا يعني بذلك تجويزه في الماء الجاري، فالحكم فيها سواء، كما نستطيع توسيع الحكم على من يتخذ البحار والمحيطات مصارف للفضلات، ومصبات لمجاري المياه القذرة، ومخلفات الصناعات الصلبة، فمن باب أولى لا يجوز في هذا الأمر بأي حال من الأحوال.

ولم يقتصر الشرع على ذلك فحسب، بل شدد على من يلوث مصادر الماء، فعد ذلك مجلبة للعن لصاحبه، قال صلى الله عليه وسلم : «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل»[3]. فترتيب اللعن عن التبول في موارد المياه، كذلك يطبق على من يلوث المياه، عبر مجاري مياه الصرف، كما يفعل في وقتنا الحالي، والمواد السامة. لذلك نجد وقع ذلك على قلب الفرد المسلم، بشكل مباشر وسريع، فيحرص بشدة على عدم فعل ذلك، وتحريمه. فتبقى مصادر الماء بذلك مصانة سليمة، وإن كان قد لحقها الفساد، فيجب تنظيفها من ذلك، ويعد هذا القانون الإسلامي من الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوى القوانين وقعا في النفوس لصيانة البيئة البحرية أو المائية.

---

[1] سورة النور، الآية: 45.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، رقم: 423، والبخاري في صحيحه، كتاب: الوضوء، باب البول في الماء الدائم، رقم 232 .

[3] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج 01، ص 299، رقم الحديث: 2715.

كما نجد الإسلام نهى المسلم عن استتراف مصادر الماء، فقد نهى الشارع الكريم المسلم من أن يكون من المسرفين والمبذرين للماء، فقال تعالى: ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**﴾[2].

ومن خلال ذلك نجد المسلم أسرع تطبيقا لأمر الله تعالى، فمن من المسلمين من يرضى بغضب الله ؟. من منا لا يحب أن تعمه رحمة الله، فكلنا يرجو ذلك، فتجد ذلك يقوي من عزيمة المسلم فيهجر كل ما من شأنه أن يجلب عليه غضب الله ومقته وسخطه.

وإضافة لذلك فقد جعل تعالى المبذر لنعمة الماء في علاقة أخوة مع الشياطين، وهذا من أقصى العقوبات التي يبغضها المسلم ولا يرجوها أبدا، فتجد بذلك الفرد المسلم أشد ائتمارا بأمر الله، وتنفيذا لأوامره وبعدا عن معاصيه، لأن في ذلك عبادة لله تعالى، وطاعة يجازى عنها الفرد المسلم، فبذلك تصان مصادر الماء وتحفظ.

ونجد السنة المطهرة قد رسخت ذلك في قلوب الصحابة وسلوكهم، ومثاله ما روى عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف يا سعد ؟» فقال: وهل في الماء سرف يا رسول الله ؟ قال: «نعم وإن كنت على نهر جار»[3].

فإرشادات مثل هذه الإرشادات النبوية الكثيرة، تكفل لنا بيئة سليمة مصانة، وإن طبقت في وقتنا لعدت من أنجع البرامج وأوقعها في النفوس البشرية.

هذا على مستوى البيئة المائية، والتي تعد من ركائز البيئة.

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 31.

[2] سورة الإسراء، الآيات: 26-27.

[3] أخرجه الأمام أحمد في المسند، ج 02، ص 221، تحت رقم: 7065.

وإذا نظرنا في مجالات البيئة الأخرى- غير المائية، عموما نجد الإسلام أولاها اهتماما كبيرا وصانها، ووضع لها برنامجا أساسه الوحي بشقيه، وهو برنامج رباني وضعه الخالق عز وجل.

وتظهر ملامح هذا البرنامج عبر قوانين ربانية عديدة، يبدأ الله عز وجل بعرض عام للبيئة وعناصرها، وينسبها إليه سبحانه خلقا وتدبيرا، فيقول تعالى: ﴿**وجعل فيها رواسي من فوقها، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين**﴾[1].

فيوضح للمسلم بأن هذه البيئة البرية والجوية هي من خلق الله عز وجل وتدبيره، وهي من نعمه تعالى على الإنسان ليسخرها في سبيل تحقيق الاستخلاف وعمارة الأرض على أكمل وجه، فترى بعد ذلك الفرد المسلم شاكرا الله تعالى على أنعمه، محافظا عليها، مستثمرا لها، وتنتظم علاقته بالبيئة وعناصرها وفق منهج توافقي متكامل.

والذي يورث لنا سلوكا بيئيا بالتعبير الحديث سليما، وجاءت نصوص القرآن والسنة، كلها حاثة على المحافظة على البيئة وصيانتها، ناهية عن إفسادها.

إذ نجد المقاصد الخمسة، التي جاء الإسلام لحفظها وكفالتها من القواعد الأساسية التي يبنى عليها البرنامج الإسلامي للمحافظة على البيئة، من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فمقاصد الشريعة الخمسة، تضبط تعامل الفرد المسلم مع البيئة وعناصرها، وفق أسلوب رشيد في إطار المسؤولية العامة والخاصة.

وقد طبق هذا البرنامج في حياة الأمة الإسلامية في عهودها الزاخرة الأولى، حيث نجد الرسول صلى الله عليه وسلم أول من يؤسس لنظام بيئي، بالمعنى الأدق للمصطلح، في حين نجد بأن هذا المصطلح من حيث هو، لم يكتشف إلا مؤخرا.

---

[1] سورة فصلت، الآيات: 9-11.

فنجده صلى الله عليه وسلم قد أرسى قواعد هذا النظام، حيث يقول صلى الله عليه وسلم : «الناس شركاء في ثلاث الماء والنار والكلأ»[1].

فجعل بذلك البيئة أو هذه الأمور الثلاثة عبارة عن شراكة بين الناس جميعا.

والشريك في الإسلام من الضروري والواجب أن يحافظ على مال شريكه وليس له الحق في إفساده أو إتلافه، لأنه ملك عام مشترك فيه، وبذلك هذب صلى الله عليه وسلم سلوك الفرد المسلم، البيئي وجعله صالحا يتماشى مع البيئة بوفاق فنجد بذلك، السبق للإسلام في ذلك، وإلى يومنا لم تتوصل البشرية إلى مثل ذلك، بل أثبت العلم، وخلصت التجارب إلى ضرورة تطبيق هذه الإرشادات النبوية لأنها تمثل "النظام البيئي النموذج" بحق.

كما نجد أن شريعة الإسلام جعلت التعدي على البيئة وعناصرها جريمة يعزر صاحبها بالزواجر، وينال عقابه في الدنيا والآخرة، ومن بين أهم الصور المشرقة التي اتضحت فيها حضارة الإسلام وقوامته، ما يدعيه الغرب اليوم من محافظة على الحيوان وحقوقه. ويلقون التهم والشبه بالإسلام، وأن الإسلام لم يأت بقاعدة الرفق بالحيوان ويضربون مثالا على ذلك بعيد الأضحى وقضية ذبح الأضحية، فلا نرد عليهم لأننا لسنا في موقف الرد، لكن سنفند شبههم وتهمهم هاته، من خلال بيان البرنامج الإسلامي في حماية الموارد الحيوانية جميعا، والذي يتضح من خلال جملة أمور:

1- إظهار عظم نفعها وهذا من خلال آيات قرآنية عديدة، منها قوله تعالى: **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرؤوف رحيم﴾**[2].

---

[1] رواه أبو داود في سننه بإسناد صحيح، ج 02، ص53، وقال عنه: حديث صحيح.

[2] سورة النحل، الآيات: 05-07.

فإظهار عظم فائدتها للإنسان، فيها لفتة للأنظار إلى المحافظة عليها وتنميتها[1].

وهذا يقودنا إلى الحديث في هذا المجال، عن ما عرف في شريعتنا الإسلامية بموضوع الرفق بالحيوان.

حيث نجد الإسلام حث أتباعه على الرفق بالحيوانات، فكان السبق الزمني عن جمعيات الرفق بالحيوانات، التي تدعي السبق في ذلك، ويتضح هذا من خلال الأحاديث النبوية الشريفة التي سنوردها فيما يأتي:

فقد حدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن امرأة دخلت النار في هرة، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، والحديث: حدثنا يحيى بن بكير قال حدثني مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار» قال فقال: «والله أعلم لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض»[2].

وفي المقابل يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن رجل غفر الله له بصنيعه مع كلب يلهث في الصحراء لشدة العطش فسقاه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى

---

[1] عبد المجيد صلاحين، التدابير والشرعية لحماية البيئة زمن السلم، مجلة دراسات، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، مج 27، عدد 01، ماي، 2000م، ص 125-126.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، ج 03، ص 1205، كتاب المساقاة، باب: فضل سقي الماء، تحت رقم: 3140، ورواه مسلم في صحيحه، ج 04، ص 1760، كتاب البر والصلة والآداب تحت رقم: 4749، وفي كتاب السلام تحت رقم: 4160.

رقي فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له، فغفر له» قالوا: يا رسول الله: وإنا لنا في البهائم لأجرا ؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر»[1].

وعندما شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم جملا هائجا، قال: «من صاحب هذا الجمل؟» فجاء رجل من الأنصار فقال: إنه لي يا رسول الله، قال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه اشتكى إلي أنك تجيعه وتدئبه»[2]. بمعنى تحمله فوق طاقته.

فيا له من قانون رائد، جامع مانع في مجال الرفق بالحيوان، فمن خلال هذه الأحاديث ينبثق سلوك الفرد المسلم عن رفق واستثمار للبيئة الحيوانية، كيف لا يفعل المسلم وأسوته في هذه الحياة صلى الله عليه وسلم فعل ذلك، فقد كان صلى الله عليه وسلم فيما أثر عنه أنه: «كان يدق الشعير بنفسه لبغلته (دُلْدُلْ) حينما سقطت أسنانها وكف بصرها»[3].

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ترويع الحيوانات، أو إهلاكها، فذلك لا يجوز شرعا، كما أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه لعن من مثل بالحيوان أو آذاه بالوسم أي بالكي، عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه (يعني عبد الله بن مسعود)- رضي الله عنهما- قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فرأينا حمرة معها فرخان لها فأخذناهما، فجاءت الحمرة ترعش أو تفرش، أي ترخي جناحيها وتدنوا من الأرض، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها»، ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال: «من أحرق هذه ؟» قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»[4].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، تحت رقم: 3363، 3466، ومسلم في صحيحه تحت رقم: 2244، ومالك في الموطأ، ج 02، ص 929، تحت رقم: 930، وأحمد في المسند، ج 2، ص 375، تحت رقم: 517.

[2] رواه الترمذي في سننه، تحت رقم: 752.

[3] عبد الحكيم الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، مرجع سابق، ص 130.

[4] أخرجه البخاري في الأدب المفرد تحت رقم: 88، والحاكم في المستدرك، ج 04، تحت رقم: 239، وصححه الحاكم ووافقه البيهقي، وأخرجه أبو داود في سننه تحت رقم: 2675- وأحمد في مسنده تحت رقم: 369.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الحيوان ويحث المسلمين على حبها والإحسان إليها، فقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[1].

وقد شرع لنا الرسول صلى الله عليه وسلم عبر شريعتنا الإسلامية السمحاء بعض الأحكام الشرعية التي تخصم الحفاظ على البيئة الحيوانية، فبين لنا ما يجوز قتله وما لا يجوز قتله من الحيوان، وما يجوز أكله وما لا يجوز أكله، بل وجعل حتى صيد الحيوان الجائز أكله وقتله، في أوقات معينة حرام ومنهي عنها، ومن ارتكبها يعوضها إن استطاع ويعزر لذلك، ويعتبر أنه قد ارتكب إثما، كما هو في عملية الإحرام للحج، وقد فرض الشارع الحكيم، تعويض ذلك الحيوان المصطاد في الإحرام، لكي لا تنقرض الحيوانات، والمستفاد كذلك من هذه الأحكام الخاصة بالبيئة الحيوانية، أنه يدخل في ذلك الحفاظ على بعض الأنواع الحيوانية من الانقراض لأنها جميعا تشكل مع باقي عناصر البيئة ما يسمى بالتوازن البيئي.

فلا يفتري أحد إذن، ويقول أن الرفق بالحيوان جاءت به الحضارة الغربية.

وأما فيما يخص البيئة الجوية، فنجد الإسلام والعقيدة الإسلامية قد وجهت سلوك الفرد المسلم، إلى الحفاظ عليها وعلى عناصرها، ونهته عن الإضرار بها، لأن في ذلك إضرار بحياته وحياة الناس جميعا، وقبل كل ذلك هو تعد عن الأمانة التي أوكلها الله إليه فحملها.

فنجد الشريعة الإسلامية قد أولت الاهتمام بالغلاف الجوي، فبينت أهميته في قوله تعالى: ﴿**وجعلنا السماء سقفا محفوظا**﴾[2]. وهو ما أثبته العلم حديثا، حيث أثبت أن الغلاف الجوي تكمن أهميته في حفظ الأرض من تسرب الأشعة الكونية الضارة.

كما نهى عز وجل عن الإضرار بالغلاف الجوي والبيئة الجوية، فيعم الفساد ويلحق الضرر بالبيئة وعناصرها، فقد قال تعالى: ﴿**والسماء رفعها ووضع الميزان، أن لا تطغوا في الميزان**﴾[1].

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة.

[2] سورة الأنبياء، الآية: 32.

فقد بين تعالى بأن الغلاف الجوي، مخلوق باتزان، يسير وفق قوانين وضعها الله تعالى له، لا يحيد عنها قيد أنملة، لكن إذا ما طغى الإنسان بشركه وضلاله على هذا الاتزان فسيحدث الفساد، وسيذوق الإنسان عاقبة ذلك، وهو ما تحقق بالفعل، وها نحن نعاني من أكبر نتيجة للفساد البيئي في الغلاف الجوي ألا وهو ثقب الأوزون، لذلك يعلم الفرد المسلم حقيقة الغلاف الجوي والبيئة الجوية، وأهميتها، وأنها نعمة من الله تعالى، فيحفظ النعمة ويشكر المنعم.

وكذلك نجد الشريعة الإسلامية قد أولت أهمية الحفاظ على البيئة النباتية، وتنميتها والاستزادة منها.

وقد جعلت الإفساد فيها وإتلافها أمرا لا يجوز شرعا، ورعايتها وتنميتها عبادة يتقرب بها القرد المسلم إلى الله عز وجل.

فشجع الرسول صلى الله عليه وسلم عملية استصلاح الأرض الموات، وعملية الاستزراع، كما اعتبر زراعة الأشجار ذات الثمار والفواكه، من الصدقة الجارية لصاحبها[2].

فهذا يشجع الفرد المسلم بأن يسلك مع البيئة النباتية، سلوك الحفاظ والإنماء لها ليفوز برضوان الله في الآخرة ويأخذ الأجر، حتى ولو انقطع عن الدنيا.

كما نجد ما يتحدث عنه في زماننا، عن ما يسمى بنظام المحميات، نجد الإسلام قد قرره وأجرى له الأحكام، عبر الوقف وغيره من قوانين القضاء الإسلامي كنظام الحسبة الذي كان يسهر على الحفاظ على البيئة نظيفة مصانة، وكان يراقب ويمنع بالزجر والعقوبة من تسول له نفسه بإتلاف أي عنصر من عناصر البيئة النباتية.ط

بل إن الله عز وجل جعل أقطارا بعينها، بلدا حراما، ففي الصحيحين، عن ابن عباس- رضي الله عنها- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «إن هذا البلد

---

[1] سورة الرحمن، الآية: 08.

[2] الدكتور إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص 142.

حرام، لا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه (يعضد شجره: يقطع، والخلا: الرطب من النبات، ويختلى: أي يحش)، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا لمعروف»[1].

ولكي يقرب الرسول صلى الله عليه وسلم فكرة الحفاظ على البيئة النباتية إلى ذهن وسلوك الفرد المسلم، نجده شبه النخلة، من حيث فضائلها وفوائدها بالرجل المسلم فقال: «أخبروني بشجرة تشبه الرجل المسلم، لا يتحات ورقها، ولا ينقطع ثمرها، ولا يبطل نفعها، ولا يعدم فيئها، تؤتي أكلها كل حين، وهي النخلة»[2].

إذن فكل هذا البرنامج البيئي- بأتم معنى الكلمة- شكل لنا عقلية مسلمة ذات ثقافة بيئية إسلامية، تتعامل مع البيئة برفق وصيانة لعناصرها في كل الظروف وفي كل الأوقات، حتى في فترة الحروب.

ونجد هذا البرنامج البيئي مقارنا لذهن المسلم وتفكيره، لأنه ارتفع حتى صار أمرا مقرونا بالعقيدة الإسلامية، لذلك نلمس هذا الأمر الجليل، في وصية أبي بكر الصديق τ ليزيد بن أبي سفيان، التي حق للتاريخ أن يكتبها بماء من ذهب، حيث يقول له: «إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقصفن شجرا مثمرا ولا نخلا، ولا تحرقها، ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبن ولا تغلل»[3].

ومما زاد هذه الصور نظارة وجمالا، تقعيد الشريعة الإسلامية لقواعد فقهية عامة، تدخل حتى في ضبط التعامل الرشيد مع البيئة. ومن هذه القواعد نذكر:

1- قاعدة «درء المفاسد أولى من جلب المصالح»، حيث توضح هذه القاعدة المقصدية، الجزم بحرمة التعدي على البيئة، بتلويثها، ولو كان ذلك لجلب مصلحة أو منفعة عن طريق هذه الصناعة التي تلوث البيئة، لأنه إذا تعارض في فعل معين، درء مفسدة وجلب مصلحة، قدم درء المفسدة على جلب المصلحة.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه تحت رقم: 1587، ومسلم في صحيحه تحت رقم: 2018، والإمام أحمد في مسنده، ج 01، ص 259، تحت رقم: 306 و 315.

[2] ذكره الإمام الألباني في جامعه الصحيح، عن ابن عمر، ج 01، ص 220.

[3] محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة، مرجع سابق، ص 135.

2- قاعدة «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»: نعلم أن الإسلام جاء لحماية المقاصد الخمس، التي من بينها حفظ النفس، فحفظ النفس واجب، والفساد البيئي مضر ومهلك للنفس، فتحريم الإفساد البيئي واجب لضمان حفظ النفس الذي هو واجب لذاته.

3- قاعدة «لا ضرر ولا ضرار»: هذه القاعدة تؤكد عدم الإضرار، وخاصة عبر الفساد البيئي الذي يلحق ضررا بالتوازن البيئي، وبذلك هو ممنوع شرعا.

فعبر هذه القواعد الأصولية المقاصدية، ينضبط الفرد المسلم، إلى جانب ثقافته البيئية الإسلامية المستمدة من العقيدة الإسلامية، ليورث لنا بيئة صالحة سليمة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المطلب الثاني: تنظيف البيئة:

لقد عني الإسلام بنظافة البيئة عناية فائقة، تظل النموذج الأمثل للبشرية، حيث نجد الشريعة الإسلامية الغراء، اعتبرت النظافة، أو بالمصطلح الشرعي "الطهارة" جزءا هاما من عقيدة المسلم وإيمانه، بل اعتبرتها شطر الإيمان، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : «الطهور شطر الإيمان»[1].

فإذا عبرت هذه المكانة عن شيء، فإنما تعبر عن مكانة نظافة البيئة في الشريعة الإسلامية، حيث جعلتها من مقتضيات الإيمان الواجبة.

وأكبر من ذلك، فلقد فرضت الطهارة لأداء أفضل العبادات كالصلاة والحج، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة النظافة البيئية.

كما نجد القرآن الكريم في آيات الوحي الأولى، يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين عامة، بالطهارة واجتناب الرجز والأوساخ، قال تعالى: ﴿**يا أيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر**﴾[2].

كما جعلت الشريعة الإسلامية، الطهارة دينا يتقرب به إلى الله تعالى، فنجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «تبسمك في وجه أخيك صدقة وإماطتك الأذى عن الطريق صدقة»[3]. هذا من حيث بيان الأهمية والأمر بالتنظيف البيئي، وهو أسلوب الترغيب في النظافة البيئية، وبالمقابل كان أسلوب الترهيب من تلويث البيئة بعدم النظافة.

فدلت الشريعة الإسلامية أن عدم النظافة، هي مجلبة للعذاب في الآخرة، ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مر

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، من حديث أبي مالك الأشعري، ج 01، ص 203، تحت رقم: 323.

[2] سورة المدثر، الآيات: 1-05.

[3] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، تحت رقم: 1879.

بقبرين فقال: «إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[1].

فكان إذن عذاب القبر على من يسعى إلى عدم النظافة وتلويث البيئة، وكان ترتيب العذاب في الآخرة على ذلك، له أثره البالغ على المسلم في الالتزام بنظافة البيئة، ويمكن أن نستشف من ذلك أيضا، أنه بإمكان الحكومات الإسلامية أن تضع قوانين وعقوبات صارمة، اتجاه من يسعى في تلويث البيئة أفرادا كانوا أم مؤسسات ومصانع[2].

وقد شددت الشريعة الإسلامية على من يسعى في تلويث الأماكن العامة ذات المصلحة العامة، ورتبت عليه أقصى العقوبات، إلى درجة ترتب اللعن عن عمله ذلك، ويدل على ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: «اتقوا الملاعن الثلاث» قالوا: يا رسول الله وما هي ؟ قال: «البراز في الموارد، وعلى قارعة الطريق وفي أماكن الظل»[3].

وأما عن مجالات نظافة البيئة، فقد أولت الشريعة الإسلامية ذلك اهتماما كبيرا في مختلف نواحي الحياة، ويمكن إيضاحها كما يلي:

### الفرع الأول: النظافة الشخصية أو الفردية:

حيث حثت الشريعة الإسلامية، المسلم على ضرورة نظافة بدنه وثوبه وطعامه وشرابه، ويستخلص ذلك من النصوص الشرعية المختلفة في هذا المجال، فكما قلنا في البداية: وجبت الطهارة لأداء العبادة، فكان الوضوء: وهو غسل أعضاء مخصوصة خمس مرات في اليوم على الأقل، كما وضحها تعالى بقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين**﴾[4].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، ج 01، ص 61، وكذا في كتاب الجنائز، باب الجريد على القبور، ج 02، ص 98، من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما-.

[2] عبد المجيد صلاحين، التدابير الشرعية لحماية البيئة، ص 121.

[3] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج 01، ص 299، تحت رقم: 2715.

[4] سورة المائدة، الآية: 06.

وهو واجب كما دل على ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : «لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ»[1].

كما أوجبت الشريعة الإسلامية الغسل، عند الحدث الأكبر، وهو غسل كامل الجسم، قال تعالى: ﴿**وإن كنتم جنبا فاطهروا**﴾[2].

وهناك الأغسال المسنونة، كغسل الجمعة والعيدين وغيرهما.

وتطرقت الشريعة الإسلامية، إلى أماكن الاتساخ في بدن المسلم، فأمرته بتنظيفها كقص الشارب وقص الأظافر، وجعلت ذلك من الفطرة، حيث قال صلى الله عليه وسلم : «خمس من الفطرة: الختان والاستحداد، ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب»[3]. كما اعتنت بنظافة ملبس المسلم من ثياب ونعال، وجعلتها من الأمور الواجبة، حيث قال تعالى: ﴿**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾[4].

ودل على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**وثيابك فطهر والرجز فاهجر**﴾[5].

وقد تعددت تلك العناية حتى شملت نظافة المأكل والمشرب من خلال أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بنظافة الآنية، حيث قال: «خمروا آنيتكم»[6].

وكذا نهيه صلى الله عليه وسلم عن التنفس في الإناء عند الشرب.

وقاس العلماء عن النهي عن تلويث الآنية، لكي لا يتلوث المأكل والمشرب، تلويث المزروعات والأراضي الزراعية بالملوثات، وتلويث البحار والأنهار بالملوثات، فقالوا: النهي في هذا أيضا أولى قياسا على الآنية.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطهارة، باب: لا تقبل صلاة بغير طهور، ج 01، ص 43، من حديث أبي هريرة ﷺ.

[2] سورة المائدة، الآية: 06.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، تحت رقم: 5439.

[4] سورة الأعراف، الآية: 31.

[5] سورة المدثر، الآيات: 4-5.

[6] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأشربة، باب: تغطية الإناء، ج 07، ص 126.

فمن الضروري المحافظة على مأكل الإنسان ومشربه، عبر المحافظة على البيئة الزراعية بعدم تلويثها بالمبيدات، وعلى البيئة المائية كذلك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفرع الثاني: نظافة الطرق والأماكن العامة:

شملت عناية الإسلام بالبيئة، كل نواحي الحياة حتى الطرقات والأماكن العامة، فقد حرص الإسلام على نظافتها ونزاهتها من الملوثات، ونستشف ذلك من خلال التوجيهات النبوية الشريفة التالية:

- قوله صلى الله عليه وسلم : «إياكم والجلوس في الطرقات» فقالوا: يا رسول الله: ما لنا من مجالسنا بد، قال: «فإن أبيتم إلا الجلوس، فأعطوا الطريق حقه». قالوا: وما حقه يا رسول الله ؟ فقال: «رد السلام وغض البصر، وكف الأذى»[1].

ويدخل في الأذى كما قال العلماء، تلويث الطريق بالقاذورات والأوساخ.

- ونجد إماطة الأذى من الطريق، من الإيمان، حيث قال صلى الله عليه وسلم : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول "لا إله إلا الله" وأدناها إماطة الأذى من الطريق»[2].

فجعل إماطة الأذى من شعب الإيمان، ليلتزم المسلم بذلك ويكون سباقا إليه يبتغي كمال الإيمان.

- وعن الأماكن العامة للمسلمين، نجد الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بنظافتها ونهانا عن تلويثها، فقال: «ونظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود»[3].

لنخلص من خلال نقطة تنظيف البيئة إلى منهج متكامل، وبرنامج عملي صالح لكل زمان ومكان في نظافة البيئة.

لدى نجد البيئة الإسلامية، في العهود الأولى للإسلام، بيئة نظيفة، تتسم بالبعد الجمالي الرائع، حيث كان يضرب بها المثل في النظافة والجمال.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: اللباس والزينة، باب: النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، تحت رقم: 3960.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، تحت رقم: 58.

[3] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الأدب، تحت رقم: 2723 من حديث سعد بن أبي وقاص ؓ، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب. ولكن مهما كانت درجة الحديث فالمعنى مقبول وهو واقع أصلا.

## المطلب الثالث: استثمار البيئة:

إضافة إلى البرنامج الإسلامي للمحافظة على البيئة وصيانتها، نجد الشريعة الإسلامية توسع من هذا التصور إلى أبعد الحدود، حيث تضع برنامجا عمليا أساسه الانتفاع من البيئة. واستغلالها الاستغلال الأمثل، وهذا عبر استثمار البيئة بكل عناصرها، ودوام سلامتها، أو ما نستطيع التعبير عنه في وقتنا المعاصر بعملية: التنمية المستدامة.

هذا الاستثمار البيئي، اتضح عبر شريعة الإسلام في أمور عديدة، أبرزها قضية إحياء الأرض الموات، حيث حث الشرع المسلمين على إحياء هذه الأرض، باستصلاحها وزراعتها، وترغيب مصلحها، بالأجر من الله تعالى، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر، وما أكلت العوافي (الطير) منها فهو له صدقة»[1].

ويحفز المسلمين على ذلك، بأن تكون الأرض المستثمرة من طرف المسلم، ملكا له ودليل ذلك، قوله صلى الله عليه وسلم : «من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها»[2]. فهذا التحفيز بالأجر والتمليك، له من الأثر بما كان على التزام المسلم ومسؤوليته في استثمار الأرض.

قال صلى الله عليه وسلم : «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[3].

لذلك عد واجب الاستزراع، وجه من وجوه واجب عمارة الأرض، الذي كلف الله عز وجل الإنسان به، لما استخلفه فيها[4].

فمن من المسلمين لا يبتغي الأجر الوفير من الله تعالى ؟.

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج 03، ص 304، تحت رقم: 14310.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، تحت رقم: 2210، من حديث عائشة- رضي الله عنها-.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، تحت رقم: 1019.

[4] إحسان هندي، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص 143.

لذا يعتبر هذا الأمر للمسلم بمثابة سفينة النجاة، فتجده يكد ويجتهد في استثمار البيئة، من منطلق العبادة وتحقيق عمارة الأرض.

لذلك نجد الرعيل الأول يتسابق للفوز بهذا الأجر الوفير، حتى ظهر مشروع إسلامي رائد، لا مثيل له إلى قيام الساعة، وهو الوقف الإسلامي، فكان وقف الأراضي الخصبة، المزهرة بكل أنواع الثمار والأشجار والخضرة، وأحاطته الشريعة الغراء بجملة من الأحكام تجعل تلك الأرض بمثابة مستثمرة فلاحية نموذجية، يستفيد بها الصالح العام المسلم.

ففي الصحيحين، أن عمر τ قال: يا رسول الله، لم أصب مالا قط، هو أنفس عندي من سعيي الذي هو بخيبر، فما تأمرني به ؟ قال: «احبس الأصل، وسبل الثمر»[1].

ونجده صلى الله عليه وسلم يتابع وصاياه في هذا الأمر- استثمار الأرض- فيقول: «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[2]. وان كان المسلم لا ينتفع بها ولا غيره من ذلك، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يوضح لنا من خلال ذلك أفضلية عمل الخير المتأصل أساسا في الزراعة والتنمية البيئية.

فلو طبقت هذه الإرشادات النبوية الشريفة، لحلت مشكلات بيئية عديدة، من أعظمها، مشكلة التصحر، التي يعاني منها خصوصا العالم العربي، والذي يتكبد عنها خسارة تقدر بـ 26 مليون دولار سنويا. فلماذا تسعى هذه الدول في استيراد تجارب ببيئية فاشلة لحل مشاكلها، وتثقل كاهلها بإضافة خسارة مادية هي في أمس الحاجة إليها، في حين تبتعد عن دينها، تاركة الحل وراءها عبر كتابها الكريم، وسنة رسولها الكريم صلى الله عليه وسلم .

---

[1] أخرجه البخاري، في صحيحه، تحت رقم: 2772، ومسلم في صحيحه، تحت رقم: 1632.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج 03، ص 183، تحت رقم: 12935.

## الخاتمة

في ختام هذه الدراسة تتضح لنا نظرة الإسلام للبيئة، كما تتضح مكانة البيئة وعناصرها في المنظومة العقدية الإسلامية.

هذه النظرة، وهذه المكانة المشرقة والمشرفة تعد منارة بين الفلسفات الإنسانية، والنظريات الوضعية والعلمية، وباقي العقائد الدينية المحرفة. وقد توصلنا إلى الجزم من خلالها أنه لا توجد إلى يومنا هذا، نظرة شاملة متكاملة للبيئة بقدر ما وجدناها في العقيدة الإسلامية، ولن توجد نظرة تضاهي هذه النظرة، إلا إذا أطرت بعقيدة الإسلام واهتدت إلى عقيدة الإسلام.

فالبيئة وعناصرها، بحق هي كتاب الله المنظور، الذي يساهم في إطار مشروع التربية البيئية الإسلامية، في غرس ركائز الإيمان في قلب المسلم.

كما يتضح لنا أن البيئة في هذا الإطار هي بيئة نظيفة مصانة صالحة للحياة.

وقد خلصنا إلى مجموعة نتائج، برزت من خلال تجولنا عبر فصول هذا البحث نذكرها فيما يأتي:

1- أن البيئة وعناصرها، جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية. وهذا لما وضحناه من تأصل للبعد العقدي فيها، انطلاقا من تفسير العبودية في عقيدة الإسلام، التي تبنى على ثنائية الوجود، الخالق عز وجل، الواحد القادر، العليم الخبير، والمخلوق الذي هو هذا الوجود من حولنا، هذا الكون الفسيح، الذي من أجزائه هذه الأرض والسماء وما تحويانه من مخلوقات، وهذا الإنسان الذي هو عنصر هام في هذا الوجود، فهذان العنصران- البيئة والإنسان- يسيران في انسجام وتوافق لتحقيق العبودية الخالصة لله وحده لا شريك له، كيف لا وهما أثر على قدرة الخالق،و سعة علمه.

2- يجب أن لا تدرس البيئة كحقيقة، عبر مفهومها وما تدل عليه، وكيف وجدت، إلا في بعدها العقدي الإسلامي، الذي يوضح حقيقتها، ويبين جوهرها. وحري بنا نحن

المسلمين أن نولي ذلك الأهمية الكبيرة عبر المقررات الدراسية، التي لها علاقة بعلم البيئة عموما وما يتصل به، لا أن نقتفي في ذلك آثار الغرب، الذي يبني معطياته اتجاه البيئة وفكره البيئي على الإلحاد، والنظر إلى الوجود على أنه واحد، والأصل فيه المادة. فهذا من الأخطاء التي يجب علينا كمسلمين أن نساهم في تنحيتها.

3- كما نستخلص العلاقة الفريدة من نوعها، التي وضحتها العقيدة الإسلامية، بين الإنسان المسلم والبيئة، وهي علاقة الاستخلاف والعمارة وفق شرع الله تعالى من الإنسان، وعلاقة التذليل والتسخير للبيئة وعناصرها.

كما إن سيرورة الاثنين في طريق واحد إلى غاية واحدة وهي عبادة الله I. حقق حبا وودا، لا مثيل له في الفلسفات والعقائد الإنسانية الأخرى. وبهذا يبرز السبق والصدارة الإسلامية في بيان طبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة.

4- من خلال تتبع ذكر البيئة وعناصرها في القرآن الكريم، نستخلص أن الله تعالى خلق البيئة لوظيفتين:

- فأما الوظيفة الأولى: فهي وظيفة العبودية لله تعالى، وهي بدورها تنقسم إلى قسمين: عبودية البيئة في حد ذاتها لله تعالى، وتسبيحها له وسجودها له عز وجل. والقسم الثاني: فهو تسخير البيئة وعناصرها للإنسان، لكي يؤدي أمانته التي حملها- الاستخلاف- على أكمل وجه وفق ما شرع الله تعالى له، ولكي تكون كتاب الله المنظور، الذي يعمل فيه الإنسان عقله وبصره، ويتدبر في جنباته ليصل إلى معرفة الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى.

- والوظيفة الثانية: هي وظيفة تسخيرية كذلك، جمالية ترفيهية للإنسان، ليتقوى من خلالها- على إثر احتكاكه بها- إيمانه[1].

---

[1] أحمد عبد الكريم سلامة، حماية البيئة في الفقه الإسلامي، مجلة الأحمدية، عدد 01، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي- الإمارات، ماي- جوان 1998م، ص 300-301.

5- تأكيد القرآن الكريم على نظرية التوازن البيئي، في حين لم يتوقف الإنسان المعاصر عند هذه النظرية و لم يعرفها، إلا بعد ظهور مشاكل البيئة وعلم البيئة، وأرشد القرآن إلى ضرورة الحفاظ على هذا التوازن من طرف الإنسان، ويكون ذلك انطلاقا من الأصل في تحقيق الانسجام بين الإنسان وخالقه عز وجل، فإذا ما أصلح الإنسان علاقته مع الله عز وجل صلحت علاقته مع البيئة وعناصرها، وحقق نظرية التوازن البيئي، وإن اضطراب هذا التوازن يعود إلى اضطراب الانسجام في علاقة الإنسان بالله عز وجل.[2]

6- تميز النظرة الإسلامية، المؤطرة عقديا، عن باقي النظرات الوضعية الإنسانية للبيئة، عبر مبدأ الاستغلال الرشيد للموارد البيئية، وتنميتها في إطار مشروع المنفعة العامة وتحقيق الاستخلاف، والعمارة الطيبة للأرض، وما يقابله من نظرة غير إسلامية للبيئة، عبر الاستغلال البشع لمواردها، وإهلاكها وإتلافها في إطار مشاريع المنفعة الذاتية الشخصية.

7- الأمة الإسلامية مكلفة بأمانة الاستخلاف في الأرض والإصلاح، وبالتالي لابد عليها أن ترعى الأرض، وتدعوا إلى الإصلاح فيها وتنميتها، وتنهى عن الإفساد فيها، إذ من المفروض أن نكون الرواد في إنشاء منظمات الحفاظ على البيئة وتنميتها، والحفاظ على حياة الحيوانات والرفق بهم، لا أن نسلم المشعل لغيرنا من أهل الملل الأخرى، فلنضع نصب أعيننا أننا سوف نحاسب يوم القيامة عن تضييعنا الأمانة التي كلفنا بها في حياتنا الدنيا، ولتعلم الأمة الإسلامية أن الإصلاح في البيئة، من باب الأمانة التي حملتها، وهي مطالبة بأدائها حق الأداء.

8- كما يتبين لنا أن الفساد البيئي سببه الرئيس هو الانحراف عن منهج الله في التعامل مع البيئة، كما توضحه الآية الكريمة من سورة الروم: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما**

---

[2] داود آي دوز، نظرة القرآن الكريم إلى البيئة من خلال رسائل النور، المؤتمر الرابع العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي تحت شعار "نحو فهم عصري للقرآن الكريم"- رسائل النور نموذجا- ج 01، اسطنبول- تركيا، 20-22 سبتمبر 1998م، ص 714.

**كسبت أيدي الناس، ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾**[3]، فعسى أن يرجع الناس جميعا إلى منهج الله وشرعه.

9- النظرة البيئية الإسلامية، تتجاوز المحافظة على البيئة، إلى تحقيق مبدأ استثمار البيئة وتنميتها، وهذا عبر مجالات شتى منها مجال الوقف الخيري الإسلامي، وكذا غرس الأرض، والمزارعة وحفر الآبار وغيرها.

10- إن المحافظة على البيئة من طرف الغرب، هي فكرة وهمية في حقيقة الأمر، ذلك أن مشاريعها التي نجحت فيها إلى حد معقول، هي مشاريع ذاتية شخصية، لا تتعدى المنفعة الذاتية، وهو الوهم المغلوط الذي نندفع نحوه نحن المسلمين اليوم، حيث نجعل من الغرب القائم والوصي على المحافظة على البيئة، والمثال على ذلك ما وصل إليه من حفاظ على بيئته في دوله، حيث يحافظ على بيئته بيد ويدمر بيئات دول العالم الثالث والدول المتخلفة- المغلوب على أمرها- باليد الأخرى. في حين ننسى أننا ما وصلنا لنكون بمثابة الشريك للأمم غير المسلمة في إفساد البيئة، إلا حينما ابتعدنا عن منهج ربنا، وزحفنا على وجوهنا لتقليد الغرب. في وقت يؤكد فيه الواقع والإحصائيات العالمية، أن الغرب هو سبب فساد البيئة ودمارها ولا يزال.

11- في إطار التنمية للبيئة والموارد البيئية، نلاحظ أن المفهوم الإسلامي هنا للتنمية له خاصية الشمول، إذ الشمول هنا يتضمن المظاهر الخلقية والروحية والمادية في آن معا. وبهذا تصبح التنمية نشاطا هادفا ومتجها نحو الخلق، ومنصبا على البلوغ بالرفاه البشري حده الأمثل، والرفاه الذي يبحث عنه الإسلام إنما يمتد إلى الحياة الآخرة، وليس ثمة تنازع بين تحقيق الرفاه في الدنيا وامتداده إلى الآخرة. وهذا البعد مفقود في المفهوم المعاصر للتنمية.

كما نجد الإنسان في إطار المفهوم الإسلامي للتنمية البيئية هو مركز الجهد التنموي، وهو لب عملية التنمية، وهدف هذه التنمية أن يكون عقل الإنسان سليما، وجسمه صحيحا،

---

[3] سورة الروم، الآية 41.

وعرضه مصونا، وما له محفوظا، وقبل هذا وبعده، دينه وعقيدته صافية، وعلى الرغم من أن الفكر الإسلامي لم يعرف تعبير التنمية كمصطلح، لكنه حوى من المصطلحات ما يتضمن هذا المصطلح مثل: التمكين، الإحياء، العمارة، الاستخلاف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## التوصيات

نشير في آخر بحثنا، إلى بعض النقاط نراها ضرورية، لأن يوليها المسئولون، والأساتذة في الجامعة الإسلامية وغيرها من الجامعات الجزائرية، الاهتمام الكبير، ويحاولوا بحثها وتحقيقها على أرض الواقع، لما لها من النفع الطيب على الفرد والمجتمع الجزائري المسلم، وهي كالتالي:

1- محاولة دراسة صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، عبر المشاهد البيئية، التي تساهم في تركيزها في قلب الفرد المسلم، وتوصيلها إلى قلوب المتطلعين إلى الحقيقة من غير المسلمين، وقد كانت، هنالك أعمال في هذا المجال من طرف مفكرين مسلمين، أرادوا: أن يبحثوا باب الأسماء والصفات وتوضيحها عبر مشاهد البيئة المتنوعة، مثل تجربة بديع الزمان النورسي، من خلال رسائل النور، في بحثه لنظرة القرآن للبيئة.

2- ضرورة إدراج محور التربية البيئية في الإسلام، من بيان لحقيقة البيئة وبيان لعلاقتها بالفرد المسلم وكذا بيان ضرورة المحافظة عليها وسبل ذلك، عبر المقررات الدراسية في المنظومة التربوية، وبخاصة تلاميذ الطور الأول الابتدائي ضمن محاور التربية المدنية ومحاور التربية الإسلامية.

3- إنشاء النوادي الخضراء الإسلامية، التي تكون مقرراتها نابعة من العقيدة الإسلامية، حيث لا يقتصر عملها على تقليد مقررات النوادي الخضراء الغربية، إنما تبدع في بيان البديل الإسلامي، من تعليم النشأ على أن هذه البيئة هي بدعة الخالق I وآية من آياته، وتعلّم الحفاظ عليها ورعايتها من الإفساد. ولنسمي هذا المشروع بـ «مشروع النادي الأخضر الإسلامي»، يساهم في خطه وإثرائه وإعداده للتطبيق على أرض الواقع، أساتذة من الجامعة الإسلامية مع مختصين في مجال البيئة، وليكن ذلك تحت رعاية الجامعة الإسلامية، من باب توعية المجتمع بضرورة الحفاظ على البيئة، وكذا من باب أداء الدور الريادي للجامعة الإسلامية في مجال خدمة وتنمية المجتمع.

# فهرس الآيات القرآنية

| السورة | الآيـــة | رقم الآية | الصفحات |
|---|---|---|---|
| البقرة | ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء... فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾. | 22 | 16 |
| البقرة | ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض﴾. | 284 | 18 |
| البقرة | ﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾. | 164 | 29 |
| البقرة | ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم﴾. | 29 | 39 |
| البقرة | ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك... فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾. | 258 | 43 |
| البقرة | ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر... لآيات لقوم يعقلون﴾. | 164 | 59 |
| البقرة | ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾. | 30 | 03-85-139 |
| البقرة | ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون...﴾. | 12-11 | 117-133 |
| البقرة | ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾. | 205 | 144 |
| البقرة | ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا... ولا هم ينصرون﴾. | 48 | 146 |
| آل عمران | ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء... وترزق من تشاء بغير حساب﴾. | 27-26 | 60 |
| المائدة | ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾. | 02 | 146 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| المائدة | ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق... وإن كنتم جنبا فاطهروا... لعلكم تشكرون﴾. | 06 | 163-162 |
| المائدة | ﴿من أجل ذلك كتبنا... إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾. | 32 | 146 |
| الأنعام | ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء... إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾. | 99 | 21-20 |
| الأنعام | ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾. | 38 | 23 |
| الأنعام | ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾. | 01 | 39 |
| الأنعام | ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض... إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾. | 79-75 | 42 |
| الأنعام | ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر... ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾. | 60-59 | 56 |
| الأنعام | ﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي... إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾. | 99-95 | 64 |
| الأعراف | ﴿وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا﴾. | 74 | 15 |
| الأعراف | ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء﴾. | 57 | 29-28-71 |
| الأعراف | ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام... تبارك الله رب العالمين﴾. | 54 | 40 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| الأعراف | ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾. | 85-56 | 143-71 |
| الأعراف | ﴿ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾. | 129 | 146 |
| الأعراف | ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾. | 31 | 152 |
| يونس | ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن... ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾. | 61 | 163-57 |
| يونس | ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر... لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾. | 22 | 61 |
| يونس | ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا... لننظر كيف تعملون﴾. | 14-13 | 139 |
| هود | ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾. | 48 | 23 |
| هود | ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها، كل في كتاب مبين﴾. | 06 | 55 |
| هود | ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، هو أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه..﴾. | 61 | 143 |
| هود | ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾. | 117 | 144 |
| يوسف | ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾. | 56 | 15 |
| الرعد | ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش... إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾. | 4-2 | 62 |
| إبراهيم | ﴿الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾. | 02 | 18 |
| إبراهيم | ﴿وسخر لكم الأنهار﴾. | 32 | 90-34 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | | |
|---|---|---|---|
| إبراهيم | ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة... ويفعل الله ما يشاء﴾. | 27-24 | 100 |
| إبراهيم | ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء... إن الإنسان لظلوم كفار﴾. | 34-32 | 140 |
| الحجر | ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي... وما نتزله إلا بقدر معلوم﴾. | 21-19 | -25-17 150 |
| الحجر | ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾. | 22 | 28 |
| الحجر | ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾. | 31-28 | 85 |
| النحل | ﴿والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا لنبوأهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾. | 41 | 15 |
| النحل | ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون... ويخلق ما لا تعلمون﴾. | 8-5 | -66-23 90-154 |
| النحل | ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾. | 11-10 | 67-30 |
| النحل | ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون﴾. | 14 | -67-33 91 |
| النحل | ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم | 12 | 67 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | | |
|---|---|---|---|
| | مسخرات بأمره، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾. | | |
| النحل | ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه، إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾. | 13 | 67 |
| النحل | ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون﴾. | 15 | 68 |
| النحل | ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، إن الله لغفور رحيم﴾. | 18 | 68 |
| النحل | ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا... كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾. | 81-80 | 68 |
| الإسراء | ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما﴾. | 66 | 33 |
| الإسراء | ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾. | 70 | 84-139 |
| الإسراء | ﴿ولا تبذر تبذيرا، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾. | 27-26 | 152 |
| الكهف | ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾. | 51 | 53 |
| الكهف | ﴿وأحيط بثمره... هو خير ثوابا وخير عقبا﴾. | 44-43 | 99 |
| الكهف | ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا... واتخذوا آياتي ورسلي هزوا﴾. | -102 106 | 116 |
| الكهف | ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾. | 110 | 145 |
| مريم | ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا، لقد جئتم شيئا إدا، يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولدا﴾. | 91-88 | 53 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | | |
|---|---|---|---|
| طه | ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا، وسلك لكم فيها سبلا، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾. | 53 | 24 |
| طه | ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر... وأضل فرعون قومه وما هدى﴾. | 79-77 | 98 |
| الأنبياء | ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾. | 31 | 26-04 |
| الأنبياء | ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾. | 30 | -30-04 32 |
| الأنبياء | ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾. | 32 | 157-04 |
| الأنبياء | ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾. | 33 | 50 |
| الأنبياء | ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يتفرون﴾. | 20-19 | 49 |
| الحج | ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب... وأن الله يبعث من في القبور﴾. | 06-5 | 7-73 |
| الحج | ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات... إن الله يفعل ما يشاء﴾. | 18 | 95 |
| المؤمنون | ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾. | 84 | 18 |
| المؤمنون | ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾. | 18 | 31 |
| المؤمنون | ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾. | 91 | 49 |
| المؤمنون | ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون... بل آتيناهم بالحق وإنهم | 90-81 | 74 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | | |
|---|---|---|---|
| | لكاذبون﴾. | | |
| المؤمنون | ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾. | 115 | 145-138 |
| النور | ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع﴾. | 45 | 151-79 |
| النور | ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾. | 55 | 140 |
| الفرقان | ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾. | 02 | -83-17 150 |
| الفرقان | ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا، لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا﴾. | 49-48 | 30 |
| النمل | ﴿أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا﴾. | 61 | 34 |
| النمل | ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾. | 65 | 56 |
| النمل | ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته، أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾. | 63 | |
| النمل | ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾. | 78 | |
| النمل | ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾. | 24 | 104 |
| القصص | ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾. | 88 | 83 |
| القصص | ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾. | 59 | 144 |
| القصص | ﴿وابتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة... إن الله لا يحب المفسدين﴾. | 77 | 145 |
| العنكبوت | ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾. | 61 | 44 |
| العنكبوت | ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد | 63 | 44 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | | |
|---|---|---|---|
| | موتها ليقولن الله﴾. | | |
| الروم | ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا... إذا هم يستبشرون﴾. | 48 | 29 |
| الروم | ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض﴾. | 22 | 27 |
| الروم | ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته﴾. | 46 | 69-28 |
| الروم | ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون، قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل، كان أكثرهم مشركين﴾. | 42-41 | 135-101 113- |
| لقمان | ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله﴾. | 31 | 33 |
| السجدة | ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾. | 27 | 20 |
| السجدة | ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين... قليلا ما تشكرون﴾. | 09-7 | 78 |
| فاطر | ﴿وما يستوي البحران، هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾. | 12 | 32 |
| يس | ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون... إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين﴾. | 44-33 | 47 |
| يس | ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض من أنفسهم ومما لا يعلمون﴾. | 36 | 50 |
| يس | ﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة... فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾. | 83-77 | 76 |
| الصافات | ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾. | 146 | 20 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | | |
|---|---|---|---|
| الزمر | ﴿له ملك السماوات والأرض﴾. | 44 | 18 |
| الزمر | ﴿ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما﴾. | 21 | 82 |
| غافر | ﴿الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾. | 79 | 22 |
| غافر | ﴿هو الذي خلقكم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل﴾. | 67 | 81 |
| فصلت | ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾. | 10 | 25 |
| فصلت | ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾. | 11 | 153-94 |
| الشورى | ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء﴾. | 49 | 18 |
| الدخان | ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾. | 29 | 96 |
| الجاثية | ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾. | 13 | 18 |
| الجاثية | ﴿إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار... آيات لقوم يعقلون﴾. | 5-3 | 37 |
| الفتح | ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾. | 29 | 146 |
| ق | ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتا به جنات وحب الحصيد، والنخل باسقات لها طلع نضيد، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾. | 11-09 | 20 |
| ق | ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾. | 06 | 27 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| الذاريات | ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾. | 49 | 50 |
| الذاريات | ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. | 56 | 139 |
| النجم | ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى﴾. | 40-39 | 146 |
| القمر | ﴿إن كل شيء خلقناه بقدر﴾. | 49 | 150 |
| الرحمن | ﴿الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان﴾. | 04-01 | 87 |
| الرحمن | ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان، ألا تطغوا في الميزان﴾. | 08 | 157 |
| الواقعة | ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾. | 70 | 70-30 |
| الواقعة | ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المترلون﴾. | 69-68 | 69 |
| الحشر | ﴿والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾. | 09 | 14-06 |
| الملك | ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو كل شيء قدير... ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير﴾. | 04-01 | 65 |
| الملك | ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين، قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾. | 30-29 | 70 |
| المدثر | ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾. | 38 | 146 |
| المدثر | ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر﴾. | 05-01 | 163-161 |
| المرسلات | ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا﴾. | 27 | 30 |
| النازعات | ﴿والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها...﴾. | 31-30 | 27-28 |
| الليل | ﴿فأما من أعطى واتقى... فسنيسره للعسرى﴾. | 10-05 | 145 |
| العلق | ﴿اقرأ باسم ربك الذين خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ | 04-01 | 115-87 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾. | | |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس الأحاديث النبوية الشريفة


| طرف الحديث النبوي الشريف | الصفحات |
|---|---|
| «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته...». | 95 |
| «إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت...». | 96 |
| «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن». | 96 |
| «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه». | 151 |
| «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل». | 151 |
| «ما هذا السرف يا سعد...». | 152 |
| «الناس شركاء في ثلاث: الماء والنار والكلأ». | 154 |
| «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا...». | 155 |
| «من صاحب هذا الجمل ؟...». | 156 |
| «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأينا حمرة معها فرخان...» | 156 |
| «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». | 157 |
| «إن هذا البلد حرام، لا يعضد شجره...». | 159 |
| «أخبروني بشجرة تشبه الرجل المسلم...». | 159 |
| «الطهور شطر الإيمان». | 161 |
| «تبسمك في وجه أخيك صدقة وإماطتك الأذى عن الطريق صدقة». | 161 |
| «إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير...». | 162 |
| «لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ». | 163 |
| «خمس من الفطرة: الختان...». | 163 |
| «خمروا آنيتكم». | 163 |
| «إياكم والجلوس في الطرقات...». | 165 |
| «الإيمان بضع وسبعون شعبة...». | 165 |
| «نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود». | 165 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | |
|---|---|
| «من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر...». | 166 |
| «من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها». | 166 |
| «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا...». | 166 |
| «يا رسول الله لم أصب ما لا قط...». | 167 |
| «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة...». | 167 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# فهرس المراجع


**القرآن الكريم:** برواية حفص عن عاصم.

**– كتب الحديث النبوي الشريف –**

البخاري–أبو عبد الله محمد بن إسماعيل–، صحيح البخاري بشرح الكرماني، دار إحياء التراث العربي، ط 02، بيروت– لبنان، 1981م.

الترمذي– محمد بن عيسى بن سورة–، سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، ط 02، بيروت– لبنان،1983م.

ابن حنبل– أحمد بن محمد–، المسند، شرح أحمد محمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي، ط 01، القاهرة– مصر، 1994م.

النسائي–أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب–، صحيح سن النسائي، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، ط 01، 1988م.

مسلم–بن الحجاج القشيري–، صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة دار الفكر، د–ت.

الألباني– محمد ناصر الدين–، صحيح الجامع الصغير ،المكتب الإسلامي ،ط03،دمشق ،سوريا ،1988م.

**– كتب التفسير –**

حوي– سعيد–، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، ط 05، القاهرة– مصر، 1999م.

الرازي– فخر الدين محمد–، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط 03، بيروت– لبنان، 1985م.

الزحيلي– وهبة–، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، ط 01، بيروت– لبنان، 1991م.

القرطبي– أبو عبد الله محمد الأنصاري–، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، د–ط، د–ت.


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قطب- سيد-، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط 12، بيروت- لبنان، 1986م.

ابن عاشور- محمد الطاهر-، التحرير والتنوير، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 م.

ابن كثير- الحافظ-، تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار السلام، ط 02، الرياض- السعودية، 1998م.

**- كتب العقيدة -**

أمين- جمعة-، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، دار الدعوة للطباعة والنشر، ط 02، الإسكندرية- مصر، 1992م.

البوطي- محمد سعيد رمضان-، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، ط 08، دمشق- سوريا، 1979م.

ابن تيمية- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم-، مجموع الفتاوى، إعداد محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، طبعة السعودية، د-ت.

خليفة- محمد محمد-، مع آيات الله في كتاب الله، مكتبة النهضة المصرية، ط 01، القاهرة- مصر، 1983م.

ابن رشد- أبو الوليد-، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمد قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 02، مصر، 1964م.

الشعراوي- محمد متولي-، الأدلة المادية على وجود الله، طبعة شركة الشهاب، الجزائر، 1990م.

القاسمي- جمال الدين-، دلائل التوحيد، ضبط وتعليق عبد الرحمن العك، دار النفائس، ط 01، بيروت- لبنان، 1991م.

ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، د-ط، د-ت.

العك- خالد عبد الرحمن-، غاية حياة الإنسان، طبعة دار الألباب، بيروت-لبنان، 1991 م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نوير- عبد الستار-، الوحدانية ومنهج إثباتها في القرآن الكريم، دار الثقافة، ط 01، الدوحة- قطر، 1987م.

النجار- عبد المجيد-، قيمة الإنسان، دار الزيتونة للنشر، ط 01، الرباط- المغرب، 1996 م.

الهاشمي- عبد الحميد محمد-، لمحات نفسية في القرآن، طبعة مكتبة رحاب، الجزائر، د-ت.

**- كتب في مجال البيئة -**

حجاب- محمد منير- التلوث وحماية البيئة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 01، مصر، 1999م.

الحفار- سعيد محمد-، نحو بيئة أفضل، دار الثقافة، ط 01، الدوحة- قطر، 1985م.

جيرة- عبد الرحمن-، الإسلام والبيئة، دار السلام للطباعة، ط 01، مصر، 2000م.

زين العابدين- علي-، تلوث البيئة ثمن للمدنية، طبعة المكتبة الأكاديمية، مصر، 1991م.

الصعيدي- عبد الحكيم-، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، طبعة الدار المصرية اللبنانية، 1994م.

سلامة- أحمد عبد الكريم-، قانون حماية البيئة- دراسة في الأنظمة العربية-، مطبوعات جامعة الملك سعود، الرياض- السعودية، 1997م.

الفقي- محمد عبد القادر-، البيئة ومشاكلها وقضاياها، مكتبة ابن سينا، ط 01، القاهرة- مصر، 1993م.

القاضي- عبد الواحد إسماعيل-، الإسلام والبيئة، دار الاعتصام، ط 01، القاهرة- مصر، 1991م.

القرضاوي- يوسف-، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشروق، ط 01، القاهرة- مصر، 2001م.

علام- أحمد خالد-، التلوث وتحسين البيئة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط 01، القاهرة- مصر، 1993م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد المقصود- زين الدين-، البيئة والإنسان- علاقات ومشكلات-، دار المعارف، ط 01، الإسكندرية- مصر، 1984م.

غانم- حسين مصطفى-، الإسلام وحماية البيئة من التلوث، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة- السعودية، 1997م.

النجار- عبد المجيد-، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مركز الدراسات والبحوث، ط 01، الدوحة- قطر، 1999م.

محمد- داود عبد الباري-، دراسات فلسفية وإسلامية في الآيات الكونية، دار الآفاق العربية، ط 01، القاهرة- مصر، 1999م.

مراد- بركات محمد-، الإسلام والبيئة- رؤية حضارية-، دار القاهرة، ط 01، القاهرة- مصر، 2003م.

هندي- إحسان-، قضايا البيئة من منظور إسلامي، دار ابن كثير، ط 01، دمشق- سوريا، 2001م.

**كتب عامة:**

بدوي- عبد الرحمن- الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 1984م، ج،01.

البوطي- محمد سعيد رمضان-، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر المعاصر، ط 01، دمشق- سوريا، 1998م.

البوطي- محمد سعد رمضان-، الإنسان وعدالة الله في الأرض، دار الشهاب، الجزائر، د- ت.

البوطي- محمد سعيد رمضان- وآخرون، مشكلات في طريق النهوض، دار الفكر المعاصر، ط 01، دمشق- سوريا، 2002م.

بهنسي- محمد عبد الرءوف-، الإسلام بين المادية والروحية، مؤسسة الخليج العربي، ط 02، القاهرة- مصر، 1987م.

التفتازاني- أبو الوفاء-، الإنسان والكون في الإسلام، دار الثقافة، القاهرة- مصر، د-ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حسين- محمد كمال-، الخالق وروعة مخلوقاته، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، د-ت.

خضر- عبد العليم عبد الرحمن-، الماء والحياة بين العلم والقرآن، طبعة الدار السعودية، السعودية، 1985م.

خليل- عماد الدين-، حوار في المعمار الكوني وقضايا إسلامية معاصرة، طبعة دار الثقافة، الدوحة- قطر، 1987م.

الدريني- فتحي-، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ط 01، دمشق- سوريا، 1987م.

الرفاعي- مصطفى-، الإسلام ومشكلات العصر، الشركة العالمية للكتاب، ط 02، بيروت- لبنان، 1987م.

زكي- أحمد-، مع الله في السماء، دار القلم، ط 01، بيروت- لبنان، 1983م.

طلبة- مصطفى كمال-، إنقاذ كوكبنا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، 1992م.

صعب- حسن-، الإسلام وتحديات العصر، دار العلم للملايين، ط 06، بيروت- لبنان، 1983م.

سكروتزي- نيقولا- واشتياق رسول، الأرض- الكوكب الفريد-، ترجمة ميشيل خوري، د-ط، د-ت.

قطب- محمد-، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، ط 11، بيروت- لبنان، 1993م.

العهد القديم، الكتاب المقدس لليهود، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، 1966م.

عرجون- محمد الصادق-، الموسوعة في سماحة الإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط 02، جدة- السعودية، 1984م.

عفيفي- محمد سراج الدين-، قوانين الله وليست قوانين الطبيعة، دار الفكر العربي، ط 02، القاهرة- مصر، 1979م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الغني- مصطفى لبيب-، في التصور الإسلامي للطبيعة، طبعة دار الثقافة، القاهرة- مصر، 1994م.

العلواني- طه جابر-، الجمع بين القراءتين، قراءة الوحي وقراءة الكون-، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 01، القاهرة- مصر، 1996م.

كلوفر مونسما- جون-، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة عبد المجيد سرحان الدمرداش، الجمعية المصرية، ط 04، القاهرة- مصر، 1986م.

يحيى- هارون-، خلق الكون، مؤسسة الرسالة، ط 01، بيروت- لبنان، 2003م.

**- المعاجم -**

- التهانوي- محمد علي الفاروقي-، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة- مصر، 1963م.

العايد- أحمد- وآخرون، المعجم العربي الأساسي، طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة، بيروت- لبنان، 1989م.

ابن منظور- أبو الفضل-، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله وآخرون، طبعة دار المعارف، د-ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**- المجلات -**


حافظ- محمد حيان-، الآثار السلبية للمبيدات الكيميائية على الإنسان والبيئة، مجلة القافلة، عدد 08، نوفمبر- ديسمبر، 1998م.

الرماني- زيد بن محمد-، أسس التنمية في الإسلام، مجلة القافلة، عدد جانفي- فيفري 2000م.

الدركزلي- شذى سلمان-، تشيرنوبيل- إرث وخيم يأبى أن يزول، مجلة القافلة، عدد 01، أفريل- ماي 1998م.

دوز- داود آي-، نظرة القرآن الكريم إلى البيئة من خلال رسائل النور، المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان النورسي "نحو فهم عصري للقرآن الكريم- رسائل النور نموذجا-" اسطنبول- تركيا، 20-22 سبتمبر 1998، ج 01.

دنيا- شوقي أحمد-، التنمية والبيئة- دراسة مقارنة-، مجلة دعوة الحق، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، عدد 137.

صلاحين- عبد المجيد-، التدابير الشرعية لحماية البيئة زمن السلم، مجلة دراسات عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عدد 01، ماي، 2000م.

الصغير- أحمد محمد-، القنابل أخطر سلاح عرفته البشرية، مجلة القافلة، عدد 04، أوت، 1997م.

سردار- ضياء الدين-، نحو نظرية إسلامية عن البيئة، ترجمة سمية البرطراوي، مجلة المسلم المعاصر، عدد 95، سبتمبر 1999م.

سلامة- عبد الكريم-، حماية البيئة في الفقه الإسلامي، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، عدد 01، دبي- الإمارات، جوان 1998م.

شعبان- سمير صلاح الدين-، الدفيئة وثقب الأوزون وجهان لعملة واحدة، مجلة القافلة، عدد 12، ماي 1995م.

الفقي- محمد عبد القادر-، محارق الملوثات السامة ودورها في مكافحة تلوث الهواء، مجلة القافلة، عدد 09، جانفي- فيفري، 1996م.


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عباس- غسان-، ازدواجية الخلق ووحدانية الخالق، مجلة القافلة، عدد 11، فيفري- مارس 1998م.

عودة- خولة عبد اللطيف-، تآكل طبقة الأوزون، مجلة القافلة، عدد 07، أكتوبر- نوفمبر، 1999م.

عبد الله- محمد شوقي-، تلوث التربة وتأثيره على البيئة وصحة الإنسان، مجلة القافلة، عدد 03، أوت- سبتمبر 1994م.

لنية- محي الدين- تلوث الأغذية بالمضادات الحيوية، مجلة القافلة، عدد 02، أفريل- ماي، 2001م.

النجار- زغلول راغب محمد-، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مجلة القافلة، عدد 09، جانفي، 1999م.

النجار- عبد المجيد-، الإيمان والعمران، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة الثانية، عدد 08، أفريل، 1997م.

النجار- عبد المجيد-، الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، السنة الأولى، عدد 01، جانفي، 1997م.

متولي- أشرف محمد- ظاهرة النينو والتوقعات البيئية والمناخية، مجلة القافلة مؤسسة آرامكو السعودية، عدد 08، جانفي، 1996م.

متولي- أشرف محمد-، أخطار تلوث المياه ووسائل حمايتها، مجلة القافلة، عدد 02، جوان- جويلية، 1995م.

المسيري- عبد الوهاب-، الحلولية والتوحيد والعلمنة الشاملة، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، السنة الأولى، عدد 02، جويلية، 1997م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الأقراص المضغوطة -

زغلول النجار، معجزة القرآن، من سلسلة موسوعة الدكتور زغلول النجار (الإسلام والعلم الحديث)، شركة مكة للبرمجيات، القاهرة- مصر.

زغلول النجار، القرآن والكون، من سلسلة موسوعة الدكتور زغلول النجار (الإسلام والعلم الحديث)، شركة مكة للبرمجيات، القاهرة- مصر.

- - شبكات الإنترنيت -

صلاح عبد السميع عبد الرزاق، البيئة والاستخلاف الرباني والتربية البيئية في الإسلام، WWW.ISLAM ONLINE.COM، مفاهيم ومصطلحات.

أحمد كفتارو، التربية البيئية في الإسلام، WWW.KAFTARO.COM.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# فهرس المحتويات


| | |
|---|---|
| الإهداء ..... | |
| شكر وتقدير..... | |
| المقدمة ..... | أ |
| **الفصل التمهيدي: تحديد المصطلحات**..... | 01 |
| أولا:مفهوم البعد لغة..... | 01 |
| مفهوم البعد اصطلاحا..... | 02 |
| مفهوم البعد العقدي الإسلامي..... | 03 |
| ثانيا :مفهوم البيئة وعناصرها..... | 05 |
| مفهوم البيئة في اللغة ..... | 05 |
| مفهوم البيئة في الاصطلاح..... | 06 |
| عناصر البيئة ..... | 08 |
| 1- البيئة الأرضية (اليابسة)..... | 08 |
| 2 -البيئة المائية ..... | 09 |
| 3 -البيئة الجوية ..... | 09 |
| ثالثا :مفهوم المحافظة على البيئة..... | 10 |
| *معنى المحافظة لغة ..... | 10 |
| * معنى المحافظة اصطلاحا ..... | 11 |
| **الفصل الأول :مكانة البيئة في العقيدة الإسلامية** ..... | 13 |
| المبحث الأول :المفهوم الإسلامي للبيئة ..... | 14 |
| -المطلب الأول : مصطلح البيئة في القرآن..... | 14 |
| -المطلب الثاني : مصطلح الأرض ومدلولاتها في القرآن الكريم ..... | 16 |
| 1- دلالة النشأة ..... | 16 |
| 2 -دلالة الملكية ..... | 17 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | |
|---|---|
| المطلب الثالث :عناصر البيئة في القرآن الكريم..... | 19 |
| -الفرع الأول :العناصر البيئية الحية..... | 19 |
| 1 البيئة النباتية في القرآن الكريم ..... | 19 |
| 2 البيئة الحيوانية في القرآن الكريم ..... | 22 |
| الفرع الثاني : العناصر البيئية غير الحية ..... | 24 |
| 1 البيئة الأرضية في القرآن الكريم ..... | 24 |
| 2 البيئة الجوية في القرآن الكريم..... . | 27 |
| 3 البيئة المائية في القرآن الكريم ..... | 32 |
| الطلب الرابع :مقارنة بين مفهومي البيئة الإسلامي والوضعي ..... | 35 |
| المبحث الثاني : تجلي أصول العقيدة الإسلامية في البيئة من خلال القرآن والسنة.. | 37 |
| المطلب الأول :عبودية البيئة لله تعالى ..... | 39 |
| الفرع الأول :شهادة البيئة بوجود الله تعالى ..... | 39 |
| الفرع الثاني :شهادة البيئة بصفات الله تعالى ..... | 46 |
| 1-صفة الوحدانية ..... | 46 |
| *بطلان الحلول والاتحاد بشهادة البيئة نفسها ..... | 51 |
| 2- صفة العلم ..... | 55 |
| 3- صفة القدرة ..... | 59 |
| 4- صفة الرحمة ..... | 66 |
| المطلب الثاني :شهادة البيئة بالآخرة (البعث)..... | 71 |
| المبحث الثالث: علاقة البيئة بالإنسان في العقيدة الإسلامية..... | 77 |
| -المطلب الأول :علاقة الوحدة بين الإنسان والبيئة في العقيدة الإسلامية..... | 78 |
| الفرع الأول :وحدة المنشأ ..... | 78 |
| الفرع الثاني: وحدة الغاية ..... | 81 |
| الفرع الثالث : وحدة المآل والمصير ..... | 83 |

| | |
|---|---|
| المطلب الثاني : علاقة التكريم ..... | 84 |
| -الفرع الأول : تكريم الإنسان من حيث الوجود والتكوين ..... | 85 |
| -الفرع الثاني : التكريم بالعقل والعلم ..... | 87 |
| المطلب الثالث :تسخير البيئة للإنسان ..... | 88 |
| أ – التسخير لغة ..... | 88 |
| ب-التسخير اصطلاحا ..... | 89 |
| الفرع الأول : تسخير مادي ..... | 89 |
| 1 – تسخير انتفاعي ..... | 89 |
| 2 – تسخير جمالي ..... | 91 |
| – الفرع الثاني : تسخير معرفي ..... | 92 |
| – المطلب الرابع : دور التأمل في البيئة وأحوالها في زيادة الإيمان ..... | 94 |
| الفرع الأول : عبودية البيئة لله تعمق الإيمان في قلب المسلم ..... | 94 |
| الفرع الثاني : البيئة وسيلة عقاب لمن طغى عن منهج الله ..... | 98 |
| **الفصل الثاني الفساد البيئي : أسبابه ونتائجه وآثاره**..... | 101 |
| *مفهوم التلوث البيئي..... | 102 |
| 1-لغتا..... | 102 |
| 2-اصطلاحا ..... | 103 |
| المبحث الأول :أسباب الفساد البيئي..... | 104 |
| المطلب لأول : الأسباب الفكرية ..... | 104 |
| الفرع الأول : فكرة الصراع ..... | 104 |
| الفرع الثاني: فكرة الخطيئة والتوبة عند اليهود والنصارى..... | 107 |
| الفرع الثالث: التصور المادي للوجود ..... | 110 |
| المطلب الثاني: الأسباب المادية ..... | 112 |
| الفرع الأول: إستغلال الكون..... | 112 |

| | |
|---|---|
| الفرع الثاني: سلبيات التطور العلمي والتكنولوجي..... | 114 |
| المبحث الثاني: نتائج وآثار الفساد البيئي..... | 118 |
| المطلب الأول : نتائج الفساد البيئي..... | 118 |
| الفرع الأول: ظاهرة النينو ..... | 118 |
| الفرع الثاني: ثقب الأوزون ..... | 120 |
| الفرع الثالث: تلوث التربة ..... | 122 |
| 1-التلوث بالأسمدة الكيماوية..... | 122 |
| 2-التلوث بالمبيدات..... ..... | 123 |
| 3-التلوث بالمواد المشعة ..... | 123 |
| 4-التلوث بالمخلفات الصلبة..... | 123 |
| الفرع الرابع: تلوث الهواء..... | 125 |
| الفرع الخامس : تلوث الماء ..... | 127 |
| *التلوث بالنفط ..... | 128 |
| المطلب الثاني: آثار الفساد البيئي..... | 130 |
| الفرع الأول :الىثار الصحية ..... | 130 |
| الفرع الثاني : الآثار الاقتصادية ..... | 133 |
| **الفصل الثالث: علاج الفساد البيئي في العقيدة الإسلامية** ..... | 135 |
| المبحث الأول : علاج الفساد البيئي على مستوى التصور ..... | 137 |
| المطلب الأول : الإيمان بالله..... | 137 |
| الفرع الأول : الإنسان مستخلف من الله في الأرض ..... | 138 |
| الفرع الثاني : عمارة الأرض بالحلال الطيب ..... | 143 |
| المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر ..... | 145 |
| المبحث الثاني :علاج الفساد البيئي على مستوى السلوك..... | 148 |
| المطلب الأول: الحفاظ على البيئة ..... | 150 |

| | |
|---|---|
| المطلب الثاني: تنظيف البيئة ..... | 161 |
| الفرع الأول : النظافة الشخصية أو الفردية . ..... | 162 |
| الفرع الثاني : نظافة الطرق والأماكن العامة ..... | 165 |
| المطلب الثالث : إستثمار البيئة ..... | 166 |
| **الخاتمة** ..... | 168 |
| التوصيات ..... | 173 |
| فهرس الآيات القرآنية ..... | 174 |
| فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ..... | 186 |
| فهرس المراجع ..... | 188 |
| فهرس المحتويات ..... | 197 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية